مطبوعات الفجر 25

ليلة دافئة

قصص

فرج محمود

تقديم : دكتور يسرى العزب

مطبوعات الفجر

تصدر عن جماعة الفجر الأدبية بالقاهرة

المشرف على التحرير

دكتور **يسرى العزب**

المراسلات

الجيزة ـ أرض اللواء ـ فيصل

١١ ش محمد منصور

تليفاكس : ٥٧٠٢٢٤٢

المحتوى

الإهـــداء

إليك ..

لمَّا شربت كنت أبحث عن الكأس

لما رأيت كنت أبحث عن النـــور

لما فهمت وجـــدتك .. هنـــاك

ولا يــزال في يــدك القنــديــل

.. يا أصل القناديل !

هكــذا يجب أن تكون ، ولا تستطيع أن تتهرب
هكــذا قالت الكاهنات والأنبياء من قبل ؛ ولكن
يستطيع الدهر أو الجهد العنيف أن يمزق كائناً
من الكائنات ينبض بالحياة .

جوتــــه

ليلة دافئة

قراءة نقدية للدكتور يسرى العزب

(١)

هـل تنجح هذه المجموعة الجديدة .. للقاص الجديد.. فرج محمود أن تتيح لنا قضاء (ليلة دافئة) في هذا الجو العربي ؟ هل يمكن لدفء الفن أن يخفف ، أو يهوّن .. من عذابات البرد السياسـي القـارس الذي تعيشه أمتنا .. في شتاء طويل منذ نصـف قـرن مضـى ؟! .. وهل دفء الفن في (ليلة دافئة) وحـيدة قـادر على أن يحمينا من قسوة البرد السياسي الأشد قسـوة الذي بدأ يدهمنا نحن العرب والذي ينوى البقاء معنا .. في شتاء طويل لنصف قرن يجئ ؟!

وأبـدأ الإجابة فوراً قبل أن يضيع الزمن.. نعم .. إن الفن الجيد الذي يحمل رؤية صادقة للواقع .. هو فن قادر على فعل مـا عجـزت عنه السياسة .. إعادة الدفء مرة أخرى للجسد الذي أنهكته البرودة .. فلم يعد صاحبه ممتلكا هذه المدفأة التي تصـعق الـبرودة وهـي (مدفأة الروح).. الفن الجيد هو هذه الـروح الباعثة .. لا للدفء حسباً .. بل للثورة على كل جليد يزحف على الواقع الإنساني ..

(٢)

بهــذه الــروح.. التــي تبعثها هذه القصص الخمس عشرة تشــتحن الحياة .. فنحن ــ بالفعل ــ مع قاص ــ وإن كان ما يــزال شابا ــ مصري .. يمتلك أدوات الفعل .. والقدرة على توظيفها ــ بحكمة فنية ــ لتقديم أبنية قصصية جميلة .. ولعل هذه الحكمة الفنية تنبثق من (حكمة عقلية) تسيطر على الكاتب فــرج محمود.. فتؤرق عليه حياته كمواطن مصري قيّض له أن يكــون ابــنا لعصــر (العولمة) اللعين .. وليس غير هذه الصــفة نعــتٌ ينازعها لهذا العصر الذي نعيشه .. إنه عصر التناقضات المرعبة .. نتائج صادمة مفاجئة لمقدمات كاذبة .. عصــرٌ ــ بــالفعل ــ قادر ــ بلا سبب معقول ــ أن يخترع لأبــنائه لغــة غير اللغة التي ورثها لهم الآباء .. إنه " روِش طحْن" هل نفهم هاتين الصفتين؟ وهل هما بالفعل صفتان لهذا العصر؟. أنا ــ وإن كنت معترضاً عليهما وعلى العولمة التي بلتنا بهما وبغيرهما من مفردات اللغة ــ أفهم .. وفرج محمود يفهم .. وأنتم بالطبع ــ من قبلنا ــ تفهمون ..

(٣)

وهذه القصص تقدم لنا مزيداً من الوعي بواقعنا وبعصرنا.. وبالحيرة الذاتية والجمعية .. التي نقع ــ جميعنا ــ فيها.. إنها حيرة تتشظى في كل الاتجاهات : ــ في (السياسة).. هل نحن

مــع .. أو ضد ؟ .. وإن كنا.. فمع من وضد من ؟.. وإن لم نكن فلمن ولا لمن؟ ـ في (الانتماء).. إلى أي وطن ننتمي؟ أو يجب أن ننتمي ؟ أو يحسُن ـ ويجدر بنا ـ أن ننتمي ؟

ـ فــي (الحب) .. وهل يجب أن نحب ؟ .. ولماذا نحب؟ ومن نحب؟

ـ فــي (الذات) التي هي نحن.. هل هي مازالت نحن ؟ أم أنها صارت ـ بفعل العصر ـ غيرنا .. ؟

ـ في (الإبداع القصصي) كيف نكتب؟ أنكتب باللغة القديمة (لغــة: أكلوني البراغيث) أم نكتب باللغة الجديدة (لغة: روِش طحْــن) أم نصطنع ـ نحن ـ لغة خاصة لا هي الكلاسيكية التي لم يعد الاعتماد عليها مناسباً ؟ ولا هي (الحداثية) التي لن تؤدى إلا إلى مزيد من الضياع في (بحر الحيرة) الذي نغرق فيه ؟

(٤)

فــي خضــم الكــتابة المصرية الراهنة .. ظهرت خلال الســنوات الأخــيرة مجموعة من الأقلام الجادة .. تمثل حلقة جديــدة بدأت الذائقة القصصية تتعرف عليها مع بداية الألفية الثالــثة مــن بينها فرج محمود نذكر منها : سعيد نوح، محمد العشري، خليل الجيزاوى، فتحي مصطفي ، سيد عبد الحميد،

هانــي الرفاعــي، علــى الفقــي ، محمود عرفات، مصطفى ســليمان، ومــن القاصات: صفاء عبد المنعم، عزة بدير، غادة فاروق، هالة فهمي، عزة بدر، منال السيد .

وكل منهم يجتهد في أن يكون له صوته القصصي الخاص ومنهم فرج محمود الذي نجح ــ منذ هذه المجموعة البادئة ــ فــي احتــياز هذا الصوت الخاص به ، بما يتمتع به من قدرة على التصوير للواقع تصل أحياناً إلى حد الشعر .. ومن قدرة علــى رصد جزئيات المكان والزمان أيضا .. تصل إلى حد الســينما .. ومــن قدرة على اختزال الرؤية للواقع وتشكيلها جمالــياً بطــرائق جديدة تماماً.. كما نلاحظ التحول الدافع إلى (التشيئ)، كما في قصتي (الأرنب) و(التمثال) من كل أساليب الكــتابة القصصــية يصطنع فرج محمود لغته الخاصة التي تــتمازج فــي نسيجها الفني كل الأساليب .. فينجح في تقديم رؤيته للواقع بأسلوبه القصصي الخاص .. الذي احتوي معظم الأســاليب القصصية وهو يعرف أغلبها .. حيث يملك ــ إلى حد كبيرــ كلا من الثقافتين العربية والألمانية.. ويساعده عمله فــي الحياة على امتلاك المزيد ــ فهو يعمل مرشداً سياحياً ــ ولا شــك أن هذا سيأتي متسللا ــ أحياناً ــ وسافراً ــ أحياناً

أخـــرى ـــ في ثنايا قصصية كما نرى في (كريستينا).. التي يلتحم فيها الواقعي والأسطوري والرمزي والعبثي .. تتمازج لتصنع ـــ في النهاية ـــ بنية قصصية شديدة الإحكام.. كما نجد فـــي معظـــم قصص المجموعة .. إنها بنية متماسكة.. تلزمنا بتقديرها .. وإعلان الإعجاب بها.. وبصاحبها القاص الجديد.. بحق .. والذي .. سيبقي دائماً في حالة من التجدد .

دكتور يسرى العزب
الجيزة : ٢٨ يناير ٢٠٠٤

انتصار ..

كان الشتاء. وصلنا الكوبري القديم، لم تخرج الشمس، البرد هــنا، شــبورة الصــباح الشتوي هنا ، والقرية تدفع بتلاميذ إعدادي ، ثانوي ، بالمدرسين ، وقليلا من الموظفين .

تمت عملية الإخراج، الكل يتحرك ، لا يحاول الاحتكاك ، يبــتعد عن الآخر .. ليس ثمة دفء ، هنا البرد ، الضباب ، الأفكار الرافضة .. إلي أن جاء الأتوبيس .

وهجم الجميع .. .. .. !!

جــوف الأتوبيس يعاني عسر الهضم ، يترنح واقفا ، خلناه يتقــيأ، معدتــه تــتلوي ، فمــه الأمامي يبصق بعد الصبية ، مؤخــرته تدفــع أذرعــا ، سيقانا، هواء لزجا، والبرد يتسكع ممتطيا الأفقية .. ويستقر في أعمال البطون !

نراقب الأتوبيس، نحن الذين فشلنا ، أن نطعمه أجسادنا .. وكــنا نصارع الضباب علَّ دفء الشمس ينزلق من أعلى .. وجاءت العربة الصندوق !!

تســابقنا في عملية صعود نملية ، تسلقنا الإطارات الأربعة .. وكان هو معنا ، نضحك ، يضحك، يشاركنا كلماتنا، يحاول

غــرس رأســه فــي صباحنا.. وتناسينا أباه، آباءنا، واكتشفنا ضــياع أجســادنا، داخــل مربع السيارة ، والذي في الخلف. التحمت الأجساد لتضيع، هكذا ظننا؛ وحين انطلقت العربة ذات المــربع ، ذات الهزهــزة، ذات الهــدف العظيم .. لم نستطع الــتخلص مــن الكتلة؛ تكونت في غفلة من لهونا.. وأضحى اندماجنا صباحا جديدا !

كنــت ملاصــقا له ، جنبه في جنبي ، يداه في يدي ، كتفه ملــتحم بكــتف آخريــن .. لا يعرفهم؛ ولم يذكر أباه بكلمة ، وحمدناهــا له .. ولما قهقه رددنا في فضاء السرعة القهقهة ، ورحنا نراقب العربة الصندوق، والتي خلفنا .. وسألنا :

ــ متى جاءت ..!؟

جــاءت .. قال هو . لم يعلق أحد ، لم نكرر الكلمة ، يلوح لتلاميذ نعرفهم، سبقونا إلى مدرسة المدينة . لم يسأل رأس من الكــتلة عن سبب تأخرها ، تأملنا فقط قرصها ، يزمجر خلف الضــباب ، نــرى اللهب فوق الأفق ، اللون الأحمر الدموي يعرف الدرب ، لم يعلق هو . كانت الأشجار تفر إلى الخلف، في ذعر ، يتركها تأخذ الطريق إلى القرية ، شهد معنا ، قال: "الأشجار مذعورة ، الضباب يلاحقها" .. ضحك ، ضحكنا ..

ولـــم نكن نحبه. خُدعنا! هذا ما اكتشفناه ، جنبه يحتك بجنبنا ، كنا نحبه ، أحدنا تباطأت عيناه فوق وجهه اللامع ، خشيت أن يعلن ، يقول إنها الصحة، إنه الثراء ، أو .. توقفت.! الكلمات تحوم أمام عيني، طردتها، بحثت عن شيء ألاحقه، وصلنا إلى مـــنعطف، ترّنحت السيارة ، تماسكنا، كان صدره فوق كتفي، التمعـــت عيـــناه . عيناه لم أرهما قبل اليوم ، وقفنا، لم نتابعا الحقـــول، كانت عيدان البرسيم كاملة الخضرة .. رفّت ريح ، حركـــت حقول البرسيم ، تماوجت تماوج شعر رأسه ، جاءت ضـــحكته، كنـــت أهاجم من يضحك.. لم أفعل، لماذا يضحك؟ بصقت السؤال، صدري تحول إلى ثقب أسود بارد .

التحمـــت الكتلة، نترنح، نتمايل، نتبادل أعيننا، إلا عينيه.! عيناه على أطر السيارة التي في الخلف ، تأخذ نفس الطريق، أمامها، نتفادى البخار الفضي ، يبتلعنا كهف ضبابي ، نخرج منهكيـــن، مرحين، محتمين بمربع خشبي.. إلى أن نصل إلى المدرسة .!

الســـائق يخرج ذراعه، يلّوح، نلوّح له، وددت له سألته: لم وافق، لم ركب معنا..؟!

هــو طويل، وسيم، أنا.. عادى؛ لا يصفني أحد بقصر أو طــول، غــير مهم، لكننا معا، كتفه في كتفي ، يداه في يديّ، نعــود إلــى دورنـــا بعد الظهيرة ، أحكى لأبى.. كان معي، جــواري هــذا ما سأقوله! لن يصدق أبى ، بل لن يسأل، ولن يســمع. مؤكــد هو سيحكى.. سيقول ابن (.. ..) كان معي، ركبنا سويا، ويضحك، يقهقه.. ويضحك أبوه..!!

مالت السيارة، ملنا معا، التحمنا أكثر ، إنه يحلق ، يتركنا، نعم ربما يرفض أبوه فعله.. ولو فعل ماذا يعنى هذا..؟ حملقت فــي وجهــه، ابتسم، كأنما قال لا تهتم.. عيناه تشعان صباحاً دافئاً، خضرة البرسيم تتماوج في عينيه، لن أهتم ، التفت إلى قميصـــه ، سماويا هادئا ، مكويا، يناسب طوله، عنقه الطويل، أشياؤه الجميلة، حضوره الجميل، .. ولا أنكر.. كلنا يحدق في لحظته معنا، جاءت بتدبير منا.! فهذا الولد، الذي ظهره لصق ظهري، هو الذي دبر لما سمعه يقول :

– سأعود .. لن أذهب إلى المدرسة .

أعلـــنها بصراحة.. الولد الذي في قلبه ما في قلبي ، الذي عيناه ملتصقة بعيني.. وقال:

_ نغريه.. لن يرفض.. وإلا .. !

قلت :

- لنا الحق في كره أبيه وكرهه..

حوّمنا في الضباب حوله، حجلنا قريبا منه، هاموش يقترب من عامود الإضاءة ..!

أين السيارة.. هه.. السيارة؟ معطلة..! ولم يزد، قليل الكلام هو!! معطلة.. فى الخبث اللامع لففنا الكلمات.. تعال.. اركب معنا ولاّ ..! فهم، قال : آت معكم ..!

بعد انطلاق الأتوبيس رأى ..

مخاط من الأرجل والسيقان يغرق فم الأتوبيس، ومؤخرته تعوم في الدخان الأزرق اللزج .. تابع معنا الخيبة قائلاً :

- ثم .. ؟!

وجـــاءت العــربة، قلنا في هدوء وبراءة "نعم هذه.." مالت العــربة، سنجرب سيارته الملاكي بعد ذلك ، تملصت العربة من كتلة ضبابية، هوجمت بكشافات عالية ، لا يهم ..

كنا قد اقتربنا، نظر إلى هذا المكان، لا زرع، لا مدينة، إنه الكوبري الكبير ، يعلن البعد عن الحقول ، لكنه لا يدخلنا إلى المديــنة.. عيــناه تكتشف الكوبري، تكتشف البقعة الضائعة، ضــحكنا لجهله بهذه المسافة.. ولم نخبره أن الضباب كثيف،

عـــاد والـــتمس منا العفو.. رأيت عينيه تطلان على أجسادنا، تـــنزل إلـــى قاحل أغوارنا، ضحكنا وطمأناه.. وبعد الكوبري تـــراءى الضـــباب جبالا بيضاء، وانغرست فيها كشافات قوية شيطانية عنيفة.. وسمعنا صوت احتكاك الإطار بالإسفلت ....

العربة الصندوق ، وراءنا ، بالكاد توقفت، كانت عيناه فوق إطاراتها، هوجمتُ بفراغ غير مسبوق، ببرودة آتية من صقيع جهنمـــي. بحثت عن دفء جسده، عن ارتماءه فوق صدري.. لـــم أجـــده .. لم أجد له أثرا في الصندوق الخشبي.! عيوننا انخلعت وطارت في كل الاتجاهات، غير أنه كان سباقاً ، فقد حلـــق بعـــيدا .. واندهشنا، وكنا رضينا عنه، و.. .. لم نفكر طويـــلاً ، إذ صـــحب فـــرملة العربة التي في الخلف انفجار مروع.. .. ثم صراخ !!

* نشرت في الأهرام المسائي .

لا الملائكة ولا الشياطين كان يمكنهم عمل أكثر مما عملت. وكنــت في حل من شكر وامتنان كافة البشر على هذا الفعل. نفســياً كانــت راضــية. وبسمتها الباهتة الشاحبة التي كادت تتحول إلى الإصفرار مثل وجهها تكافئني .. وهنا أس ألمي .. أساي، فقط يعتصرني الألم عندما أعاصر الجسد يذبل .. القد الممشــوق الفائــر يــرقد هامداً بارداً كتمثال طمست معالمه عوامل التعرية .

فــي الســتة شــهور الأولى تساقط الشعر الفاحم. بدأ في منتصف الرأس، تسلل إلى الشعر المتفرق فوق الجبهة. كانت فيما مضى متعتي عندما تغادر الحمام وتتركه يهدل في خفوت ونعاس .

وأعقــب ذلــك وهــن بدا جليا عند الجفون المتطايرة فوق العينين. ما كان شيء من هذا يصرفني عن العناية بها. بذلت فــي ســبيل إبرائها كل ما أملك. وعجزت عن تبديل ملابسها الداخلــية. الألوان الوردية واللون الزيتوني المحبب لها. كانت تــرفع عينين بيضاويتين خلتا من بريق الحياة. تراقبني وأنا

أســتبدل القطــع المــتخمة بالعــرق السقيم.. العرق المشبع بالمورفيــن.. والجلوكوز. وكنت أتغافل عن لثمها كفي عندما أقــوم بذلــك. حدث كل شيء دون سابق إنذار، لم تصرخ في وجهــي قــبلها. وكنــت أرتب دولاب الملابس مغلقة ضلفاته كطائر ضم جناحيه رفضاً ولعنة على القوة التي سلبته الأيادي الرقيقة. كانت تعبث به صباح مساء، الآن راقدة هناك ، ملقاة كقتــيل لا حراك، أظافرها بيضاء كأنما النحات أهمل صقلها، هناك حيث أنوثتها جاءت الطعنة، سقطت من يومها.

لم تفلح ابتساماتي في انتشالها من قبضة الواقع، لكنها ردت علــى ابتسامتي بفتح ذراعيها، كأنما كانت تعتذر إلى صامتة، تعوضني بضمة راعشة راجفة، تداخلت أجزاؤها مرتقبة عدواً قادمــاً امتزجــت بأجزائي، وبكينا واضعة رأسها في استسلام فــوق كتفي، ضارعة مؤملة، لكن الرحمة كان لا يعرفها هذا المــرض اللعيــن. ثرت لاعناً قلة الأصل في وجه زملائي ، الصــدق مع النفس ما دفعني للثورة، لأني تزوجتها خضراء يانعة، ما ذنبها إن فاجأها هذا اللعين؟ ما جريرتها إن كان في العائلــة أب أو أم تحمل المرض؟ من يعرف قلبها لا يلقى بالاً للوراثة، مئات فلتن من الوراثة هذه ، ومثلي كان منتهى أمله

الحـــب.. زوجة تبذل له نفسها وقلبها.. وهى فعلت.. ما ذنبها إن رقـــدت بقايا امرأة .؟! خمسة أعوام صارعت عدواً آخر.. خفياً.. صارعناه سوياً . وكأنما تصْرحني الغرام مرة أخرى.. ظانـــة إن القدر حتى آخر لحظة رحيم بنا. آه ما أروعها. ما أروع هـــذا القلـــب، هذه الروح الرائقة، لكنى – والآن فقط – أبكـــى أنـــى حرمت طفلاً منها. رفضت الذهاب لطبيب، كنا نجهل أننا مجبرون على ذلك .

بعـــد خمـــس سنوات تذهب.. يشك الطبيب، وأحضرنا ما طلب. ونظر. راقب. دقق. ثم ماذا.؟ صمت.. العقاب الجارح، بـــل القـــاتل "دعـــك الآن من الخلفة" ، هنالك الأهم . أعارته بســـمتها.. أفصحت له "ما هو الأهم؟" كانت جملته نصلا باترا "الحياة .. حياتها" .

نشبت عينيها في قلبي .. وهرولنا .. انكفأنا .. لم يلحظ في الشـــهور الأولـــى أحد من الأهل شيئاً .. لأنها كانت متشبثة بالابتسامة .. وضاعت .. تاهت.. بل دفنت معها .. بالوسادة .. تحت الغطاء .. بين حبيبات المورفين .. لا أعرف ! لكنها رقدت .. تمددت .. الظلال المتموجة راقدة هناك فوق الزجاج

البني القاتم .. النوافذ اكتفينا بفتحها مرة في الأسبوع .. نحافظ على رائحة أنفاسها .

مُطلقـا لن أفعلها .. طالما تتنفس.. إنكم لا تستشعرون ما يـدب داخلـي .. إنها تتنفس فيّ ولن أعبأ بخطابات البنك .. عشرة أعوام لم أنقطع عن العمل.. من حقي البقاء بجانبها.

فـي الشهر الأخير من العام ثرت مرة أخرى "لن أتركها.. بل أدعو لها بالشفاء" .

الست خـيرية كانت أكثر الملحين.. وحصار الأصدقاء، لكني لا عمل لي بعد الشغل سوى الجلوس بجوارها، أهيئ لها العصـائر ، والقليل مما تقتاته .. لكن الحياة تغادر جسدها في تبجح..

واستطالت أكثر .. أطرافها كانت تطل من أسفل الغطاء ، ووجههـا اسـتطال وضاعت معالمه ، والظلال الداكنة أسفل العين ، باتت كأنما لم تغادر الفراش منذ أن ولدت .

كلمـا مرت الأيام زاد التصاقها بالسرير ، وبكيت وقت أن بحثـت عـنها داخل الفراش ، التحولات في الأجزاء الأنثوية شـائهة، ممطرة نفوراً ، كانت تجلدني بعينها الوحيدة القادرة على حمل رسائلها. الست خيرية كانت تحكى عنها أشياء ، في

الـــبداية لـــم أكن أصدق ، قلت لها "المريض يا ست خيرية له عالمــــه نحن نجهل ماذا يرى .. وما يحس". ولاحظت .. بل بعـــد أسابيع راقبت وتعمدت النظرات.. وعادت الخطابات من البنك تنهال .. .. وحديث الأصدقاء في الصالة كان جارحا.. عيونهم كانت مرسلة .. هناك حيث المدام، لا ، بل حيث الست خـــيرية . وتضــــامنا معي كانت لا تخطئ وتأتي بغير الثوب الأسود . لأنها بيضاء لفت نظري ثوبها . كانت تجرني جرا.. إلى مكان مجهول.. لكني ممعنا في تكذيب دواخلي رفضت.. وجرتني مرات عدة .. ووجدتني عند نفس الجسد .. بل كنت مشتاقاً أن أراه مرة أخري.. جسدها .. قبل خمس سنوات .

عـــدت إلى النافذة.. قابعاً خلف الفتحة المربعة ، أطل فقط علــــى الحـــياة فــــي الوجـــوه، أصـــــابعي تضرب بوهن على الكمبيوتر، تحصى الفلوس قبل تسليمها .. وانتظمت.. تحرقت لهذا الانتظام في المنزل .

في العام الأول كانت عيناى تراقب أنفاسها. الآن عين فوق الوجــــه الليمونــــي وأخـــرى متربصة بباب الشقة . بل أذني تتســـمعان الخطـــوات على السلم .. الست خيرية تسكن الدور الثانــــي . أسفلنا تماماً . آه لو تنهض زوجتي .. تستقبلها مثلما

كـــان يحدث.. تغيب معها داخل غرفة النوم. تثب في رشاقة بينـــي وبيـــنها.. تستحث الكيكة في البوتاجاز "مسكينة الست خيرية"، وتتركني متأملا مدى معاناة هذه المرأة . العمارة كلها خرجـــت يومهـــا عن بكرة أبيها. منتصف ليل مايو .. والجو الخـــانق .. جاءهـــا فـــي تابوت .. صرختها سلبتنا الرجولة والمقاومة .. وهرعت زوجتي إلى غرفتها. كنت أسمع نشيجها .. إنهـــا تفـــزع مـــن ذكر الموت. نهش قلوبنا منظر التابوت بغطائـــه الأسود المستطيل . لم يمر على زواج الست خيرية يومهـــا ســـوى ستة شهور .. وكأنما شرخ أصاب العمارة .. كانت وقتها هوجة قدوم التوابيت .

اعتصمت داخل الشقة .. الوحيدة كانت زوجتي التي تحظي بـــزيارتها .. أخـــبارها اســـتودعتها لدى زوجتي.. ملابسها الســـوداء لـــم تـــبدلها حتى اليوم .. وعندما مرضت زوجتي تمســـكت بهـــا أكثر ورأيتها بعد مضى شهرين على المرض اكتســـبت أشياء كثيرة من زوجتي.. تسريحة شعرها.. بعض الجمـــل القصيرة كانت تلفظها متعمدة أو عفوية.. لا أدرى .. لكـــنى اســـتمرأت سماعها بعد ما صمتت زوجتي .. وعندما توغلت بعيني داخل طيات الملابس السوداء ارتعدت !

مـــا هــذا ؟ مـــاذا يحدث ؟ وتركت زوجتي يومين .. في رعايـــتها طبعاً .. إلى أين ؟ هل أفر ؟ وممن؟ من زوجتي أم من صديقتها؟! لم أجد قلوبا تصغي إليّ .. كل يلهث إلى شيء أنكـــره.. وحاولت شرح ظروفي . كنت أبكي .. وكانت خلف الوجـــوه الحزيـــنة المتضـــامنة مؤقتاً ابتسامة .. أو نبتة إلى ابتســـامة .. لم أصل لقرار .. حجتي كانت احتياجي للمال .. رغـــم أن البـــنك عرض عليّ سلفة رفضت .. وعدت بمبلغ ضخم .. قطعت صلتي بالبلدة .. بعد ما استلم أخي نصيبي في الدار عدت باللفة .. غير نادم .. عدت مذبوحاً .

وفـــي الطـــريق استغرقتنى الأفكار.. كانت ترتطم بجدار رأسي.. تأخذ اتجاها أجهله . لكنها أعتي من إرادتي .

ســـأنفق كل ما أملك عليها.. مناطقها المورقة داخل كياني مازالـــت يانعة .. اخوتي لا يفهمون معنى الوفاء .. لن ألفظها عظامـــاً.. رفضـــوها قديماً.. تشبثت بها وتزوجتها رغما عن الجمـــيع.. مثلـــي مـــن لا أب له ولا أم يلجأ إليهما يلجأ إلى ضميره .

دخلت الشقة هادئاً مقتنعا بنهاية الجولة مع أفكاري .. لكن.. الآن ألعـــن هذا الشيء.. ما بداخلنا .. لا .. بداخلي أنا.. كيف

أفلت هكذا من حصار أفكاري ؟. منذ لحظات دخلت بأشياء لا أجدهـا برأســي .. ما الذي بدلني هكذا؟ وجود الحياة جوار المــوت؟ الساقان البضتان الملتويتان ؟ أم الساقان الطريحتان تتبعــث مــن بين فجوتهما رائحة الموت؟ الرأس المائل رغم الإجهاد يتفجر بالنضج والتدفق؟ أم هذا الرأس الضائع الباهت يعاني الخلاص ؟ ماذا بداخلي ؟ لم أعلن عن أفكاري لإنسان.. وتصــارع كل شيء داخلي .. ما أبغضه مع ما أتوق إليه ؟؟ وكرهن هذا الصرع ؟

همست إليها:

ــ ست خيرية .. اصحي ..

انتفضــت مــثل زوجة فاجأها زوجها دون زينة .. كانت انتفاضــتي أبشــع.. لأنــي غرست عيني داخل كل جزء من جسدها.. انتحي طرف عيني في إهمال إلى الفراش.. وذبحتني قسوة الغريزة .. عنفت نفسي أكثر وقلت لها..

ــ خلاص يا ست خيرية .. لا تتعبي نفسك.. أنا لن أتركها أبداً.

كانــت متوقعة مقولتي .. لكنها لم تسدل طرف ثوبها على الساقين .. عدلت فقط من ثلة من الشعر فوق الجبهة .. وألقت نظرة إلى زوجتي وقالت:

ـــ يا حبة عيني .. لم تفتح عينها من ساعة ما مشيت .

ووجدتنـــي فـــي حماس صادق .. يخرج من إنسان يعاني جرح الكرامة .

ـــ سأصرف عليها كل ما أملك ..

ـــ ماله لازمة يا اخويا .. هي خلاص ..

لم أنطق .. أصبحت متوائما مع خبث غريب داخلي .. أجد نفسي في متناول رأسي وأحياناً أجد رأسي تهرب من نفسي .. وتكيفــت مع الوضع .. ابتسمت طارحا ابتسامتي فوق وجهها الذكرى. أغلقت الست خيرية الباب برفق ململمة نفساً حائرة.. لاحظت حيرتها من تعمدها الحزن المبالغ فيه. هبط المساء في غفلة من عيني .. أستوعبه بكيان باهت ملوم.. فتحت عينيها.. ابتســمت .. بل رفعت رأسها مشيرة أن أقترب .. أشارت إلى أسفل ثديها .. يرتع اللعين هناك ؟ ينهش العظام .. هي كذلك تكيفــت معه.. لكنها تبتسم له الآن.. تهزأ من جبروته! ليتني أمتلك قوتها.. لم تتبق سوى آثار متناثرة بالرأس.. ونما الجلد

إلــى الخـــارج.. صار كطيات الثوب الممزق.. فهمت سؤالها وأومأت "إنها خرجت" آه من تعاستى .. جلست بجانبها.. علب الأدويـــة ملقـــاة فوق الكومدينو بألوانها المعتمة.. ألوان حادة اختـــيرت لتتاســب نفوســاً أبعد ما تكون عن الحياة .. ألوان زرقـــاء باهتة وسوداء كالحة. أثناء خلع ملابسي تذكرت جملة عارضة خرجت من فمها كنبوءة .. حاشا لله .. لكنها قالتها.. نعم.. بعد أسبوع من دفن زوج الست خيرية قالت:

ـــ لو حصل وتزوجت غيري.. تعرف ؟

ثم ضحكت وأذكر كيف ارتمت بصدرها فوقي :

ـــ ماذا ؟

ـــ لا أرضى لك إلا هي زوجة غيري.

وضحكنا في أسي.. بل ابتسمنا وقبلت وجنتيها.. لكني الآن محاصــر.. ومتــي يفك الحصار ؟ والحصار أحسه طعنات تغوص في لحمي.. ونمت مهدوداً.. لأول مرة بعيداً عنها.

متكاســلاً لا وجــه لأفكاري.. دخلت الست خيرية.. بنفس الــثوب.. لكــن مــتوردة.. البياض مشرب بالحياة والأنوثة المخــتزنة.. تسارع بالانفلات. أين أقف ؟ نبت شيطاني أطل داخــل رأســي.. وأعقبه سؤال صامت قبيح.. ما هذا الفراغ

داخل الشقة ؟ لم ألحظ هذا السكون العاري من قبل ! الجدران عارية .. النوافذ بلونها البني الكئيب .. أحكمت إسدال الستائر قبل رقادها .. لكن الشمس تعربد فوق جسد الستائر الهامدة .. تخـــترق الأنسجة.. ووقفت الست خيرية بنفس الجسد الملفوف فـــي الغلالة السوداء .. حائرة مثلي .. معالمها تعربد في هذا الخلاء .. لكن الظلال تتحرك بكل مكان .. ظلالها.. والظلال التي تسبح في صفاء عيني الست خيرية . جاءت ولم تتجاوز التاسعة.. ولأول مرة أصحو لأجد الفطار معداً.. وباب حجرة الممـــدة هناك موارياً .. الضوء المريض يزحف في استماتة إلى الخارج .. لكنه يُصرع ويضيع في المعالم المشتتة للشقة. مهـــدوداً جلســـت فوق حافة الفراش . تركت الست خيرية .. وتدعونـــي للالتهام .. نعم .. إما أتقدم أو أرفض.. عاجز أنا عـــن اتخاذ القرار. بُغتّ بكل شيء . بأول لقاء .. ومع من ؟ فـــتاة تكبرني بعامين .. تتقدم إلى إنسان يتصادق والأركان .. يختار الزوايا الخالية الهادئة .. بل والباردة.. نعم لولا وجودها ربمـــا عـــدت إلى القرية .. وانغمست لركبتي في مشاكلهم . كأنما قرأت في عزلتي غرقي.. وأنقذتني.. كيف أتقدم إلى هذا الطعام؟! ووقفت على حقيقة أمري . ظلالها القديمة الباهتة ..

هنا برأسي .. لم تفارقني لحظة . وغصت إلى أعماقي بالأمس .. أثناء تأملي وجلستي بالبلكونة حتى الخامسة صباحاً . نعم لا أهـرع إلـى الغريزة .. لكنها داخلي .. وتبينت أنها الحياة ! وأطلـت الجلوس .. انتظرت أن تأتي .. تمسك بيد إنسان تائه حائر .. أفكاره تنحدر لتعود وتصعد .. لكن ما الانحدار ؟ هل الـبقاء معهـا حتى النهاية أم الاستبقاء على اللهاث داخلي ؟. ولهـاث إلـى شيء غامض.. موجود غامض .. ولم تأت .. خرجـتُ بعد نصف ساعة. لم أجدها .. ووجدت الطعام فوق الترابـيزة بالصـالة والأضواء خلف الستائر مازالت ترتع .. وعـندما دخلـت غرفة زوجتي وجدت الست خيرية تبكي .. وهـي لا حراك .. مغمضة العينين .. وانتهت بخروج الست خـيرية إلـى الصالة .. ووجدتني حائراً بين الظلال القديمة والضوء الراقص في الصالة.

• نشرت في مجموعة "آلام صغيرة" عن نادى القصة .

صـــمم أن أنـــاقش القضية داخل هذا المكان . لم أرفض ، حيـــث لـــم أجـــد مكانا يبعدنا عن أعين الحاقدين غير عربة القطـــار. أشار إلى المقعد المقابل فجلست، تنفست مرتاحا فقد جـــاءت جلســـتي بجانـــب النافذة المفتوحة. حين لمح الحقيبة الســـوداء فـــوق ساقي ابتسم متأهبا للدخول في النقاش؛ إلاّ أن شـــابا نحيلا اقترب في ضجة حاملا كوبين من الشاي . كان منتصـــف الـــنهار ، لـــم تعق وقدة الشمس قدومه ، وشعرت بالامتنان أن فهم احتياجي لكوب الشاي . انتظر إلى أن توارت عيون المارة وقال :

ــ اخترت العربة الأخيرة .

ــ فعلا .. ليست مزدحمة .

لـــم أعطه كل تركيزي ، على الأقل حين دخل في مقدمات تلخص ما وصلنا إليه. كانت لوحة الدعاية البعيدة تتبدل بمعدل نصـــف دقـــيقة . شدّت تركيزي، كانت لوحة خضراء خلفها صـــحراء شاســـعة ، وفي الأفق البعيد طائرة تخترق النجوم. سيطر هذا المنظر على عيني . قلت :

ـــ أحـــياناً تأســرنا لحظة أو لقطة وتكون ذات تأثير على حالتنا النفسية دون غيرها .

سمعته يعقب :

ـــ هذا القطار أسرعهم .

ـــ فعلاً .

بعـــد أن نال ثمن الشاي مضـي الشاب النحيل يدندن حاملا الصـــينية عليها الكوبان فارغان. عدت أحدّق في اللوحة ربما للمرة العاشرة . سألني :

ـــ أتصر على الاستمرار في القضية ؟

ـــ طبعا .

ـــ سيكلفك الأمر متابعة وربما سفرا متكرراً .

ـــ ولا يهمك .

ازدحمت العربة وبدأت أدخل في سحب داكنة ، هل زادت الســـرعة لدرجة لم نعد نلحظها ، أم نحن واقفون ؟ أحقا لدى الرغـــبة فـــي الاستمرار ومواصلة المناقشة دون هدف . كان صـــوت الرجل يرتفع ، وبدأ يشكو من الغبار ورفعت حرارة الجو من توتره . أخرج من جيبه راديو أحمر في حجم الكف وهتف :

ـ النشرة .

بعـــد دقائق أغلق الراديو وراح يناقش من جديد . قضية قديمة وأخرى جديدة. كنت شارداً في لوحة الدعاية التي تتبدل كـــل نصف دقيقة وأحلق وراء الطائرة التي تخترق النجوم .

قال وهو يصارع النعاس :

ـ بلغ القطار سرعته القصوى .

قلت :

ـ لكننا في العربة الأخيرة .

راح يناقش من جديد ، ويذكر أشياء عن امرأته وأولاده .. بعد فترة أضاف أن ابنه جاء معه ، ورغم أنني لم أسأل قال :

ـ يلعب في مكان ما .

بعد نصف ساعة غادرنا القطار . شددت على يديه وعيناى عالقـــتان باللوحـــة التـــي تتبدل صورتها كل نصف دقيقة .. ومضيت.

ليلة باردة

ضـــغطت على زر الجرس ، ثم رأيت خلف زجاج الباب رأسا تتحرك في الضوء البرتقالي . بدا ظل الجسد داكنا يأخذ الخطــوات فــي حــذر، وزّعــت لهفتي على الطرقة الخالية والصـــمت وأبعــدت وجوه أطفالي ، حيث لم تكف عن الطفو والمشاكســـة . كـــان الوجـــه مـــدورا أبيض ، قدرت عمرها بالخمســـة والثلاثين. نفحتني ابتسامة راعت ألا تملأ الوجه ، حبكـــت الروب حول جسدها ، لم يتحرك نصف الجسد ليأخذ بادرة الخروج من الباب الموارب. قالت :

ـــ شقته فوقي .

قلت :

ـــ مساء الخير .

استعادت الابتسامة وقد اختفت .

ـــ مساء النور .

عـــادت تقدم مبررات لاستمرار وقفتها بهذا الشكل . لمحت لمـــبة مطفأة أعلى الباب . نظرت إليها كمن يتوسل أن يزداد النور قليلا.

ـ كل يوم يرن واحد الجرس .

ـ كل يوم ..؟!

ـ أحيانا يأتون بعد أن أنام .. ماذا يفيدني أسفهم !

ـ وماذا يريدون ؟

ـ مصالح عند الضابط .

بــات واضحا أن محصولها من الكلام قد نفد . اصطنعت نصف دورة على كعبي وحبكت السويتر حول رقبتي . تأهبت أن تدخل.. قلت :

ـ أنا صديق للأستاذ .

ـ يرحمه الله ..

لكــنها أبــدت رغبة في الحديث عنه . شعرت أن جسدها تحــرر ، صــوتها يصب الآن في مجراه الطبيعي ؛ غير أن معرفتــي بكونها أرملة نفثت الحماس والتصميم في جسدي .

همست فجأة:

ـ أتسمحين ..؟

بعفوية وبصوت منخفض قالت :

ـ لم تأت للضابط ؟!

قادتني إلى غرفة خفيفة الإضاءة، ولمحت ركنا قصيا شبه مظلـــم . هناك اختفت لدقائق ، فلما أضاءت الأباجورة رأيت الصـــورة الكبيرة . جلست دون انتظار إذنها . لم أطل التطلع إلى الصورة ؛ إذ أحسست بشيء يمشي فوق صدري وسمعت دبيـــب خطـــوات أطفالـــي ، أبعدت هذه الصور لتحل مكانها صـــورتها هي . كانت تمر من أمام المقهى ، واكتشفت أنني لســـت الوحيد الذي يلاحقها بعينيه . من الخلف تلوح شراشب الـــبلوزة بيضاء أسفل جاكت قصير رمادي ، ردفاها يصهلان في الشارع دون كابح ، أشعر أن ماء بارداً يرتطم بوجهي .. إلى أن سمعت المعلم صاحب المقهى يصرخ في بعضهم :

ــ أنتم مرضى . المرأة فوق الشبهات .

ربما أقنعهم ، غير أنه أثار فضولي ، ومنذ تلك المغربية لم أكـــف عـــن التفكير . أعود لأخذ مكاني وأقول لنفسي : أرمل وأرملة، ماذا يضير ؟ ولماذا نعذب أنفسنا؟ سمعت صوتها ..

ــ تفضل الشاي .

جلســـت على طرف الكنبة . كلانا في مواجهة فتاة طويلة بيضاء ، تقف في بالطو أسود ونظارة سوداء . سمعتها تتحدث إلى نفسها بصوت مسموع .

ـــ وتزوجت ، كل يوم أزورها ..

أردت المشاركة .

ـــ ابنتك ..؟

ـــ زوجها أصم !

ـــ لكنها جميلة .. !

ـــ وكفيفة ..!

باغتني مثلما باغتها صمت بارد ثقيل غير مرحب به .. مع ذلك استرسلت .

ـــ مــات أبوهــا ، والمطافــئ لم تصرف تعويضا يكفي جهازها .

ـــ وتعيشين بمفردك ؟!

ـــ معي الضابط وأسرته .

مــددت يــدي لأخذ رشفة من الشاي ، لمحت وجهًا هادئاً ممتلئا بالأنوثة . تسألت :

ـــ لا أفهم ؟

ـــ فــي العاشرة يعود ، أسمع خطواته ، حجرة نومه فوق حجرتــي ، أظل أنصت لخطوات الأطفال تروح تجيء فرحة ولمّا تسكت أنام .

قلت :

ــ ليلة باردة .

وتحركت قليلا إليها ، لم تبد رفضا ، لم تكف عن الحديث ، قالت إن ابنتها سعيدة مع زوجها وهي تعيش فقط من أجلها . رأيت أن تعرف لماذا جئت ، وأول شيء أنني لا أعرف زوجها .

ــ لا أعرف الأستاذ .

قالت في حيرة :

ــ وماذا يفيد ؟!

ــ جئت من أجلك أنت .

ابتسمت . اقتربت منها أكثر ، رأيت قدميها عاريتين ، خلتهما ترتعشان ، تمنيت أن أحميها من برد هذه الليلة . ابتسمت حين وقفت وقالت :

ــ عرفت حين نظرت في عينيك !

كدت أبدى أسفي ؛ إلا أن إحساسا غير مفهوم جعلني أنتظر. نفحتني نفس الابتسامة ، وقبل أن أخرج تركت يدها تسقط في يدي ، ملأني إحساس قوى بالعوز ، نقلته إليها متمنيا أن تسامحني.. قالت متسائلة :

ــ بعد أن عرفت الأستاذ .. هل تعود ؟!

— ١ —

— وجدوه مرميا قبل الكوبري .

— ميت ..؟

— غرقان في دمه .

وتركها زوجها بالوجه المغبش بالعرق وغبار الطريق؛ لم تجد غير الملامح التي يأتي بها وقتما يحضر شيئا من غيطه ، هـــي لـــم تتابع ولم تراجعه: اثنين كيلو ، أربعة .. في أحوال ســابقة كانـــت لا تكــف عن المراجعة والتدقيق فيما أحضر ووزن. هو الذي أعلن مجرد أن دخل .. حتى قبل أن يتحرك لســانه بالاســم شــعرت أنه هو .. إلى دورة المياه ، هناك انحرفت إلى الفجوة الحاوية للبوتاجاز وفوقه شظية المرآة ، لم تحـــدد عمـــا تبحـــث في وجهها ولم تفهم لماذا أرادت ضرب الجـــدار بقبضـــة يدها ؟! رأت الكحل في عينيها كأنما سقطت قطـــرة مـــاء فأصـــابته؛ هل سقطت دمعة دون شعور ؟ إلى زوجهـــا عـــادت .. كان قد وضع الغبيط فارغاً فوق حماره ، واقفـــا فـــي انتظارها ، قدم فوق درجة السلم المؤدى للمدخل

وأخرى تبحث عن الحركة القادمة .. نظرات حيادية .. دقائق ويمضـــى ، مـــاذا تريدين وعم تبحثين ؟ قال وأنهي الأمر ، يسرع قبل أن تغيب الشمس ليحضر المتبقي من الزرع .. ماذا لو جاءوا وسألوا ؟. هل تقولين متّين ؟. وشردت متوقعة قدوم أي امرأة .

ـ ٢ ـ

هي ساعة الفجر .. شيء خفي داخلها رفض ما سمعت من النســوان ، لم تتوقع ولم تصدق أن يفعل ، بعد أن شاع أمره جاءت أول امرأة ، ذهبت إلى العمدة ، تعرف أنه لن يحل ولن يربط ، المرأة لم ترد حلا ، إنما إعلان الذي حدث . أمام كل من رأته هناك قالت :

ـ إن لم تصدقني اسأل النسوان .

ـ يعنى عامل إتاوة !؟

عرفت أن المرأة دفعت من زوجها لأنه شاويش متطوع في الجيش .. المهم يقينها هي ، عشرات المرات قالت لنفسها إن كـــان فعـــل لماذا لم تره ، أيضا المرأة المبلغة المدعية دوما تســافر مـــع الأخريات ، لم تقل واحدة غيرها إنها رأته . في بيـــتها ســـألت نفسها، في السوق أثناء جلوسها توزع وتبيع ،

دوما لها دقائق .. تشرد في هذا الموضوع ، كيف يرونه ولا تـــراه ، يقابلهن ولا تقابله ؛ في القطار أدمنت النساء الحديث عـــنه، تصـــمت بســـبب التعب ، بسبب القرف ؛ وكذلك غير مصدقة كلمة واحدة .. نساء فارغة ، نساء تعمل من الحبة قبةً تدرك هي تماما أن لا أصلها ولا وضعها في القرية يكفل لها هـــذه القوة ؛ أن تقف وتصرح أنها لم تره ، لم يعترضها ، لم يطلب منها مليما، لم يفتح عليها مطوة، أيضا لا تجرؤ أن تقول هـــذا الكـــلام لإمرأة: كيف؟ ومع نساء أهل قريته، خاصة أنه معروف ، صوته ، وجهه ؛ وعند وجهه توقفت؛ إنه في عمر ابـــنها أو أكبر قليلا ، وجهه أبيض مدور برىء . صحيح هي لم تره منذ قالوا ترك البلد ؛ لكن هل عامان يحولان إنسانا من راســـب دبلوم إلى مجرم ، يخرج في الفجر ، ساعة الصلاة، ليـــتربص بنساء القرية وينتزع من واحدة جنيهات ! أبوه في الـــبلد .. صحيح الرجل تزوج على أمه وأمه تطرده من البت لفشـــله؛ أيضـــا ليس هذا بمقنع لها .. وهنا بالذات ذكرت له لحظة طيبة .. معها. كانت عائدة قبل ثلاث سنوات ليلا ، إذ لم تلحـــق قطـــار الرابعة القادم من إسكندرية ، أخذت الذي بعده ووصـــلت محطـــة طـــنطا في التاسعة، تلهت بمشاهدة المطر

لتنســـى أنها تقف طوال المسافة .. وعرفت أن القرية ستكون طيـــنا وروبـــة؛ لـــم تتوقع أن تنقطع الكهرباء . مشت جوار الحوائـــط خائفة فوق رأسها عطايا اليوم من خبز وفاكهة وفي جيـــبها حصـــاد الـــنهار.. رأت شبحا واقفا ، لمعة السيجارة متوهجة في الظلام ، تسمرت مكانها ، ينتفض قلبها كأنها طفلة فـــي السابعة (وليست أما لولدين في الكلية).. وسمعت صوتا: تعالى يا خالة أنا ..

سمعت اسمه .. في هذه اللحظة لم تحدد لماذا اطمأنت؛ بل شـــعرت براحة وهدوء في وجود هذا الشخص ، كان صوته حانيا كصوت أخ أو ابن ..

ـ مساء الخير يا بني ..

اســـتمر يـــتحدث قادمـــا نحوها ؛ وحين برقت عينا الكلب الأسود الضخم عند تقاطع الشارعين قذفه بطوبة ، تخيلت أنه يعطيها يده، تركت يدها إلى أن وصلت إلى أول الحارة حيث بيتها .. لا يمكن أن يكون هذا الإنسان قد فعل!!

ـ ٣ ـ

حيـــن وضعت رأسها على الوسادة كان زوجها قد سبقها ؛ الـــبدن المهـــدود والقـــيام مـــع الفجـــر يدخلانه في نوم أشبه

بغيبوبة،.. هي ظلت تهرب من السؤال لماذا رفضت؟ تذرعت بتعـــبه وبقاء الدار دونه إلى أن يعود والأولاد نائمين والبهائم فـــي الزريـــبة . الأواني مغسولة جيدا ومرصوصة ، المطبخ نظـــيف ؛ أشـــياء أمامهـــا ولا تراها ، تمشى لتلاحق السؤال ويلاحقها .. لم تشعر أنها نامت ، مع ذلك صحت قبل ميعادها وأيقظـــت زوجها.. السيارة تنتظر فارغة ، لو تأخرنا لن نجد مكانـــا.. هناك عرض مرة أخيرة أن يبقي إلى أن يأتي سائق النصـــف نقل .. انصاع وعاد إلى البيت . ظلت واقفة بجانب الســـيارة ، سيظهر السائق قادما من البيت المقابل للكوبري .. تقـــول وتنظر جيدا للظلام ، ترى شجر الكافور يهتز مستسلما للـــرياح الباردة ، شتاء محتمل على أي حال . تقف في مكان مظلم غير بعيد عن الضوء وأبعد منه عمود الإضاءة .. تسأل نفسها وترد ، نعم أنا لا أصدق النسوان ، بعد قليل يأتي السائق أو يخـــرج رجل بزرعه ويمتلئ الكوبري بهن .. ألا يقلن إنه يخرج في هذا الوقت مستغلا غياب الرجال . لا تدري كم من الوقت مر ؟، لحظة نسيت فيها الموضوع كله ، بل شعرت أن جفونهـــا ثقيلة ، ظنت إنها ترى شبحا قادما من بعيد ، طويلا خرب من نور العمود وتحققت من السويتر الجلدي الأسود ،

يــداه فـــي جيــبه وسيجارة في فمه.. هو !! حواسها التهبت، وســـمعت صوت الدم في عروقها ، انتصبت مادة جسدها في الهـــواء ، لمّت طرحتها حول عنقها وتأكدت أن الشال يغطي كتفها وانتظرت .. اقترب منها .. هو ، ملامحه التي تحفظها فـــي وعيها جيدا ، دققت في نيتها، هل تعطيه أم .. ؟! سحب السيجارة من فمه، طوحها أمام وجهه، أسفل كعبه ألقاها، لفّ حـــول السيارة ، لا يمكن أن أخطئ .. هو ! دار إلى الخلف ، نظـــر داخـــل صندوق السيارة ، تفكر أن تبدأه بالكلام ، ماذا ستقولين سأفضحك ؟! ربما تريدين نصحه؟ اقترب منها، نظر نحـــو عمـــود الإضاءة، بدا لها يعاني من برد الليل، يبحث ــ وهو واقف أمامها ــ عن مكان صلب حيث يضع قدميه، يدور في مكان ضيق ، زمّ السويتر حول رقبته ..

ــ أنت يا خالة ..؟!

ــ الدنيا برد عليك يا ابني ..

ــ البرد للرجال يا خالة ..

ــ عايز حاجة ؟!

ــ أين الرجال يا خالة

ــ نايمين يا ابني ..

عيـــناها تلاحقانه .. اختفي ؛ وحين رأت أول حمار قادماً أرادت فرحـــتها أن تحكي ، لم تفعل ؛ إذ انغمست في حديث طويل مع نفسها ، ولما عادت إلى البيت آخر اليوم صممت أن تحكي لزوجها .. وجدته أمام التلفزيون يشاهد الطيران الدولي يدك أفغانستان .. لم يسمعها !

ـ ٤ ـ

لا تــزال جالســة تحــدق في البازلاء ، المرأة التي على درجـــات الســلم تحمـــل فــوق رأسها مشنة ممتلئة من نفس المحصول ؛ قالت بعد أن أخذت ثمنه : لقي جزاءه..!!

" أنــتم جميعا تكذبون.." لم تقدر أن تقول .. ، لم تنس أبدا أنهـــا كانـــت ضـــحية؛ والسبب جمالها المزعوم .. "تقفين مع الأســـتاذ مـــدرس الإنجليزي" وتزوجت.. وإلى الآن يقولون : أجمل امرأة ومعه تسافر لتبيع ، وأن سبب رواج تجارة زوجها الفـــلاح بشرتها البيضاء المشربة بالحمرة .. وجهها نسخة من وجـــه نجلاء فتحي!! ماذا لو قالت إنه .. .. لا ، لن يصدقن. قالت المرأة قبل أن تذهب: كلنا مطلوبات للشهادة.. لّما لم ترد أضافت : تفتكري من قتله ؟

لم ترد ...

* نشرت في الأهرام المسائي .

الانفجار الثاني

- ١ -

كــان الانفجــار مدويـــا . بعده صعدت خيمة من الدخان الأسود، ومن النوافذ المهشمة رأيناها تتفتت متحولة إلى سحب داكنة غطت سماء منطقة المقطم ! في الصباح رأيت زوجتي تهرش جلدها ، ما لبث الهرش أن انتقل إليّ ، ولولا أن رحت انهـش جلـدي بأظافري لطلبت من امرأتي أن تتوقف ، فقد أدمـت بشـرتها البيضاء وراحت تحك ظهرها في أي جدار خشن .

رأيـت أحد جيراني قادما ، وفي الحال تأهبت لسؤاله عن عملـية الهرش لاحظت الرجل يتقدم نحو محطة الأتوبيس في خطـوات بطيـئة ورأسـه مائلة قليلا إلى الأمام ، في الحال تطلعـت إلى الواقفين قريباً منى ، لم أفهم لماذا هم مائلون إلى الأمام ؟

ـ لماذا نسير هكذا ؟

ـ قلت على الفور

ـ وأنت اليوم منحن .. !

- ٢ -

قالــت زوجتــي إن الأمــر أكبر من كيس دهني، وعرَّت ظهري ، كانت الحكة قد هدأت بعد أن صرفت بعض الأدوية مجانــا ، والآن تقــول زوجتي إن هذا الشيء يقع تماماً أعلى الظهــر وأسفل القفا ، يشبه بالونة منتفخة ، وربما يقف وراء سيرنا منحنين . لم أهتم بتغيب الأولاد عن المدرسة ، ومتعمداً توقفــت عن الذهاب للعمل ، ومن ثم قررت استطلاع الأمر ، اكتشفت أن رجال حي المقطم يعانون نفس الشيء ، وفى التو ربطــوا بيــن هذا الكيس اللحمي وبين الانفجار ، وسمعنا أن تفجيرا ما تم ، ما سببه ؟ ومن قام به؟ وأين بالضبط؟ لم يمدنا أحد بأي معلومة !

إلــى أن رأيــنا ــ نحن الرجال ــ زيارة الطبيب واجبة . ســمعت رجــلاً من الحي يصرخ في الطبيب : يا بيه أنا فل وامرأتي معي لوز !

طــبعا كذب . جاءت الجرائد لتصدق على ما حدث وتؤكد أن خوفــنا مبرر، الأدهي أن الأمر تحول إلى ما يشبه مباراة بين علماء النفس والأساتذة المهتمين بالحفريات ، وإن لم نفهم ما هي العلاقة بين انفجار وقع ودراسة أصل الإنسان ؟!

— ٣ —

لم تمر شهور كثيرة وتحول حي المقطم إلى ظاهرة ، ربما أعجوبـــة . تناولت حالاتنا وسائل الإعلام المختلفة ، المصرية والأجنبـــية ، وشـــاهدنا المســـئولين يجوبون الحي ، يمسكون الرمل والطوب والحجر في أيديهم ، يبرهنون على شيء ما ، لم نفهم أبداً ماذا يريدون منا أن نفهم ، مع ذلك جاء واحد ممن يمتلكون بِشْـــاً وفك اللغز : الظاهرة تحولت إلى هم عالمي ، ورأينا رجالاً من الحي يسيرون منحنين ، ويعلو ظهورهم من أســـفل القفـــي الـــبالون الجلدي ، وصحح أستاذ التاريخ القديم المعـــروف قـــائلا : لـــيس هـــناك غرابة أو شذوذ ، المتحف المصـــري يحتوي على أناس مقتبين ، والقتب ليس مرضاً ، ويمكـــن للشخص التعايش معه ويمارس حياته بشكل طبيعي.. وأضاف أن القتب عادة لا يصيب النساء .

— ٤ —

لا نصـــدق اليوم أن رجال الحي ولدوا دون قتب ، فعلا تعايشـــنا مـــع الأمر ، في البداية خصصت وسائل مواصلات لأهـــل الحي ، تحمل علامة "قتب كبير" مثلما كنا نرى علامة لكراســـي المقعديـــن ، وانتشـــرت أســـماء محلات وشركات

للمقتبين، لم يعجبنا هذا التمييز خاصة أن المقتبين تحولوا إلى رجال يملكون دماء فائرة ، وربما كان علينا الانتظار إلى أن تـتم المواجهة الدامية بين مجموعة من المنحنين والطبيعيين، وانتهت بسقوط أربعة قتلى ، تراجعت الحكومة عن هذا الفصل غير المبرر وخاصة بعد أن هوجمت من هيئات مختلفة منها حقـوق الإنسان. لا يقوم أحد للمنحني اليوم، وامرأة المقتبين أكثر جمالاً، وربما إخلاصاً، واندفعنا نبرهن على تمتعنا بكامل صـفات الفرد الطبيعي، ومثلما حدث الانفجار الأول، انبثقت عين ماء قريباً من الحي ، وسط الرجال، تحدثوا عن خواص الماء الأعجوبة، حاولوا السطو عليها متذرعين بملكيتها العامة، وقفـنا مدافعيـن عن حياتنا الخاصة ، ومن هذه المياه أمكننا استصـلاح جـزء مـن الصحراء، واستزراع محاصيل غير معـروفة فـي البلد ، وخطونا خطوة أكبر نحو احتكار بعض المحاصيل ، ولولا أن سقط واحد من المقتبين في غرام امرأة من الحي القريب .. ما هاجمونا !

ـ ٥ ـ

كدنـا نفتك به حقاً . ما عيب نساء المقتبين ؟ لماذا يخرج الشاب من جلده، لكنه قال إن الدين يكفل للرجل حرية الزواج

مــن أجنبــية، من كتابية ، ما بالك وهذه لا يفرق بينها وبين نسائنا شيء ، راح يذكّرنا بأصلنا ، وادّعى أننا استسلمنا لهذا الوبــاء اللعيــن ، وسمعنا أنه اتهمنا بالضعف وأننا وجدنا في ضعفنا مبرراً للتراخي ، كيف ونحن لا نقل كفاءة عن غيرنا؟ وجد في الشباب الآذان المتلهفة ، وحين حاولوا استغلال عين المــاء وقفوا أمام المؤسسة الكبرى ، وفعلاً استخلصوا العين لهــم. بعــد أيــام جاءنا طالبا الاستماع إلى من جاءوا معه ، وطلب أن يوقّع على وثيقة مدعيا الاحتفاظ بحقوقنا . جاء فيها أن المقتبيــن يتمتعون بكامل الحقوق الإنسانية ، ومنها حرية الــزواج والعــبادة ، والدين ، ولهم حق امتلاك ما يحوزون . وقّعــنا ولــم نــأخذ بنصائح الكبراء . ومثلما توقعوا تداخلت الأشياء ، وذابت نساء المقتبين وسط رجال الأحياء الأخرى ، ودخلــت أغانــي فاســدة الحي العريق وانتشر الفساد في كل مكان!

ـ ٦ ـ

استعصى الأمر على الدارسين وأرباب النوايا الطيبة ، قالوا إن الصراع قادم والصدام واقع لا محالة !

تمزّقــنا ـــ نحن الشباب آنذاك ـــ بين الجدود ، بحكمهم ، بمــأثوراتهم ، وبيــن الأصوات العالية العفية، تحاصرنا في المســاجد، فــي الهيئات الحكومية ، في الأتوبيسات ، وتتردد نظــريات على ألسنة شبابنا . التطور سنة الحياة ، الانطلاق مــيراث الحقيقة ، ميراث العلم . وفي المساء نعود إلى أهلنا ، بيوتــنا باتــت تهــتز فوق مراجل الغضب واللاوعى ، وبات البحــث عــن مخرج شغلنا الشاغل . وقليل منا رأوا الحقيقة المرة ، والأقل منهم من تحدث عنها، غير أن انطلاق الأحياء الأخرى حقيقة تفقأ أعين الجميع، نتمرغ في عواطفنا، نعوم في ترهاتنا، تأكلنا كوابيس الكهول والشباب ، والآخرون متطلعين، وحيــن كتب واحد من أهلنا عن هذه الحقيقة حاصروا بيته ، وذكــروه بجــدوده، بأصــله، وأشــاروا جميعاً إلى المصيبة الحقيقية، الذي يحملونه فوق ظهورهم ، وهو القتب !

ـ ٧ ـ

بــدأ الآخــرون يتسللون إلى الحي ، في الليل، بحثهم عن نســائنا لم يعد سراً ، ومضت أيام تصورنا الأمر أكذوبة ، إذ جاءوا طمعاً في تغيير حالنا ، تسرب الخبر ، أو السر كالهمس بين الأطفال ، "البداية عند النساء" .. ألم يقل شاعر منهم: في

الــبدء كانــت الأنثي!! وكأنما غض الرجال الطرف ، وكأنما انــتظروا أن يأتـــي الحــل عن طريق نسائهم ، وبات التسلل والوصـــول إلى المرأة المفاجأة المنتظرة سنصحو يوماً ونجد رجالاً غير الرجال ، يسيرون دون قتب ، مفرودي الظهور ، دون كــيس لحمـــي ، ومَــن يتهم مَن إنْ كان الكل في مرمي الاتهام ؟!.

— ٨ —

انفجـــار مدو ، هزّ المنطقة ، هل بفعل فاعل أم جاء نتيجة الترقـــب ؟ هل يأتي بالتغيير المرتقب أم يزيد التشوه تشوهاً ؟ هرعـــنا صوب عين الماء ، .. نعم توقعنا أن تجف، ومن ثم تكون ثمناً عادلاً لمَا بعنا، أو عقاباً عادلاً أيضا لما فعلنا!!

يتنافر كل شيء داخل رأسك . أحمد عرابي، سعد زغلول، طه حسين، رمسيس الثاني، والمعبد العظيم.. ثم بيترا أخيراً ! قالت أمك إن الذين يعيشون في مصر يقولون "لا إله إلا الله"، والشـمس تـرتفع لتغسـل خطايا المؤمنين ، وأنت عم تبحث هناك؟!

عـندما وقفت بيترا أمام الحيل المنحوت ، طفر الحزن في عينيك ، الشمس تصعد بعد أن دشنها الصباح ، وبحيرة ناصر تـوزع الخلفـية الـزرقاء، وتغرق جسد الألمانية ، إنه نسيج الصـباح الدافئ ، تتداخل خيوط أفكارك ، تتمرق ، تهرب من صوت الانهيارات ، تقول هي ..

ــ صورة أمام المعبد ..

أصـابع الجسد المستسلم تمسك الكاميرا .. يجلس الملك ، خلف صدرها تماماً وشقشقة الصباح ، يرفع رمسيس رأسه ، يدقق النظر في عينيك.. لماذا عدت ؟ تضع يدك فوق عينيك، تهـرب، يلاحقك اضطراب الماء، وبيترا تتواثب. تقول أمي " إن زوج جارتهـا المنقـبة اختفى" ، كنت لا تنصت، تفكر في

البداية قبلما تفلت: أمي لا عيش لي في هذا البلد؟"لماذا تعلمت؟ ما فائدة غياب الابن بحجة العلام.. لماذا تنفق الدولة الملايين". لا يمكنك صد التيار الجارف، تبتلع العضة ، تلوح في أفق الغرفة الفنادق ، رائحة الطعام الفاسد، يطن من جديد صوت الرجل ، لم تصدق لأول مجيئك فادة، من يعطى من راتبه يظل متمتعا بمكانه، يرتفع بعد أيام ليأكل من بقايا الزبائن، نعمة، زميل وآخر، يأخذونك إلى عنبر السكن، أمي ما أدراني.

ــ خذ لي صورة من هذه الزاوية ..

قطعت هذا الحبل الشيطاني ، تسحبني ، تري أنني متأهب لانطراح تتقدم لتأخذ بيدي ، قالت إنني أنسحق من نفسي، وهذا عيب في بلدها ، تكون قد وثبت، وأكون تقوقعت، وأشعر بلزوجة خميرة القوقعة .

ــ أترى شعري .. ؟

ــ كله وسط الكاميرا ..

تلف وتدور بيترا .. تعانق الصباح البعيد النائم خلف جبل المعبد، تشمه ، تحكى عنه ، لا أصدق ، تتشطر لحظتي، تبرز صورة زوجة جارنا المنقبة، متكومة، أطفالها يمضغون

صـــدرها ، الأقارب ينزعون الفتل من الثوب الطويل ، وتعود لتـــتداخل وتتنافر أفكاري ، طه حسين ، قال صديقي ، قبل أن يـــتحول إلـــى زوج لمرأة منقبة، " أراد سعد باشا أن يأخذ بيد العميد الكفيف، فهقه العميد تاركا الباشا خلفه .

ـــ مقال ..

ـــ أين .. ؟

ـــ إلى الكافتريا .. !

أمـــامك خلفـــية الحضـــارة ، الجبل ، الصحراء ، الماء ، تتركها تنتشل الذكريات القريبة من قاع رأسك ، لا تعترف بها أو بنفسك، الحقيقة قالتها أمك : الخوجاية أكلتك.. ! تنظر إلى عينـــيها ، أنهـــا تنام في وثار الصباح الشتوي ، دفعت اليور بالآلاف للصباح الدافئ .

وعد في اللقاء الأول .. تنظر إلى حذائك الألماني ، تفشل، مـــا يلاحقـــك متقل بك ، بهرائك، يلغط المرشدون في سعادة الفراشـــات، راضـــين عـــن بلدهـــم، عن سعد وطه وعرابي ورمسيس، وأنت قابع في سلة الزبالة، قلت لها ..

ـــ أكلت من زبالة الأجانب ..

أشارت إلى وجهك وقالت ..

ـ هذا الجسد .. وهذه الروح ..

ـ بكل أنسجتي .

ـ روحك وجسدك حضارة . وأنت لا تصدق ،

ـ لا أصدق ..

ـ أخـذاك إلى غرفة السائح .. خلسة فعلت ، كنت تقترب كمـن يدنو من حقل ألغام .. الزملاء ذوو الأضواء الخافتة ، الأجسـاد العاريـة الملفوفة في الملاءات ، كنت تجمعها باحثا عن سلالة جيدة ، تتخلص من صوت أمك، "وتعلمت يا ابني ، درست في أيام مجانية التعليم"، وتشهق رغم ذلك لرؤية الجارة المنقـبة: لماذا تفعل في نفسها كل هذا؟!.. تمطرك بالأسئلة ، تحاصـرك صور من خيالها ، ! أخذتك بيترا من بنطلونك ، تركـت أسرارك تتدحرج على صدرها، وراقبت الشمس وهي تهـرب بعد أن كانت تملأ النافذة. لماذا تهب جسدك سوطاً لا يشـرف ، اقفز فوق الأسوار ، الشباك فتلها رثة ، وقف أمام المـرآة ، الشعر أسود ، نيلي ، والعينان تبحثان ، تحملقان ، وعند المهبط كانت أغاني الشباب في عنابر العجز تسلية ، عن حكايـات المصـريين قالت : الثراء البشرى موجود عند كل الشـعوب ، الخطوط تتوازي ، غير أن بعضها ظاهر والآخر

مثل نقش فوق الماء . ذكرت أسماءهم ، كانت تنصت ، وكنت تبحث عن نقطة داخلك ، تصدق كلامها الذي استنام فيك، وحين سألت عن قرار الإجماع قلت : إنني الوحيد الذي رفض، صوت ضد عشرة لم تخبرها أن أصوات سعد وطه وعرابي ورمسيس كانت معك، مع ذلك يسير أمر إسكات الأصوات، وركبت .. الطائرة.. وهبطت فوق الأرض والعشب الألماني .

ــ ماذا بك.. ؟ كل هذا شرود ؟!

ــ الصباح في أبي سمبل لا مثيل له ..!

تتصور أنك جئت من أصل النوبة ، هي وأنت وأرض الرمال وسراب العودة ، لتبعد قليلاً عن أفق النيل ، ماذا أغضبها ؟!

ــ بيترا .. ما تزالين على حبك ؟!

ــ الحب تبادل عواطف ، ووضع أفكار بعيدة عن ظروف اجتماعية ..!

ــ لا أفهم ..!

ــ غيِّر تفكيرك .. !

تطلــب المــرونة ، مطلب مشروع ، تنظر في الأرض ، تحتمي بأفكارك أنت ، لا ، ليس في رأسك فكرة واحد خاصة بــك ، أمك، سعد، .. وآخرون، أردت أن تخبرها وأجّلت ، لم تملــك ثمــن تذكرة العودة ، وحتى المعمل الذي جاءك حتى الفراش لم يعجبك، ماذا تريد ؟!

ــ أعمل بشرف .. !

ــ العمل لا علاقة له ..

وأمســكت وأكملــت التجرد .. ابتعدت عن الاحتراق قبل التعرض للوهج تعرف هي ما تريد ، تقحم المعمل .

ــ زميلاتك ..

ــ إنهن يرفعن حسب الاتفاق ..

ــ لم أتفق ..

صــرخت لــتدون أن كل شيء يبدأ إما صرخة أو آهة ، والــنهاية صــمت وانســحاب .. ! جئت لأري إن كانت أمي صــادقة ، وإن كــانوا جمــيعاً هنا ، ودفعت ثمن الطائرة ثم الفندق.. ودونت أن شهراً يتبدل ويتحور ويتحول إلى كائن لهو مدمــراً داخلــك .. وبهدوء تعلمته منها ، نظرت إلى جسدها

الذي يترصد جسدك ، وأغمضت عينك وسحبت يدك من يدها، وتنشقت رائحة بحيرة نار .. وقلت ..

ــ لن أعود معك .. !

ــ لن تتركني هنا بمفردي ..

ــ طبعاً ..

ــ ستعود إلى قريتك ..؟

ــ أو أهيم على وجهي ..

وابتعدت متجهاً إلى رمسيس ، مبديا أولي خطوات العودة!!

الأرنب

منذ أسبوع صحي السيد جمال من نوم القيلولة ليري ويعيش أياماً عجيبة. شعاع شرس قادم من سماء صافية ، شطر الغرفة نصفين ، رأى الأستاذ جمال وأحس أن الغروب قريب من النافذة المفتوحة على الحديقة التي لا تملك من الاسم غير أرض بور وأشجار جافة في فراغ يضرب جدران الطابق الثاني ، بقايا نصف النهار الأول مائع في رأسه ، فيه أقدام فئران، أو على الأكثر أرانب كلها تتواثب لتخلف هدوءا وغموضا. تمطى في الفراش، أحس أن جسده طيّع ، ذراعاه حين يرفعهما لا يظهران له، وبعد أن كرر المحاولة اكتشف أن ساقيه ترتعشان ، داخلهما رغبة إلى الوثب ، في الحال فكر ونفذ وانتصب ليطل من النافذة، لم ير الحديقة ، مسافة لا يستهان بها تفصله وتمنعه من تحقيق الرغبة ، غير أنه رأى في المرآة المعلقة على الجدار أعلى الكومدينو القديم ما فسر الوثبة الفجائية وقد حدثت بمجرد أن تحرك .. لم ير جمال الطويل ، ذا الجسم المعروف في القرية .. والذي يتحرك كأنما يحب مثل جمل ، رأى أرنباً حقيقياً . في الحال جلس ، بدأ

يفكــر فــي الطــريقة الصحيحة للجلوس ، بسط جسده على الفــراش، مد ساقيه الأماميتين ، وترك الخلفيتين تنثنيان تحته، وترقب تصحيحاً لما رأى . سيصحو ويجد أنه جمال ، ويرى وجهه المربع ، المشوب بالحمرة ، ويرى أنفه الحاد المستقيم ، وسيرى عينيه الزرقاوين، سيرى جمال ابن الباشاوات ، ليس هــو من يحدث له هذا . ظل جاثماً دقائق . ليتحقق ولو بعقل حــالم دقق في النافذة ومحتويات الحجرة .. هي النافذة بالحبل القديــم الــذي لفه بيده بدلاً عن المصراع، وباب الحجرة ذو اللــون الكــالح، والمســامير المثبتة بدلاً عن الشماعة ، حتى بناطيله مع الجلباب البلدي، والكومدينو هو نفسه ، الكتب التي لــم يفــتحها منذ شهر وطبقة التراب المطبوع فوقها كف يده العــريض، مــا يزال كما تركه قبل النوم ، لا يمكن أن يكون الحلــم بكــل هذه التفاصيل، وليتأكد أكثر أراد الوقوف ليرى الخطــاب . كــان قد وثب ، من أسفل الكومدينو رأى طرف المظــروف الأصفر ، إن كان بهذه السهولة يتحرك فلماذا لا يتحقق بنفسه ! وثبة وكان واقفاً بجانب المظروف، أمكنه رؤية محــتويات الغــرفة بشكل أدق، في هذه اللحظة سمع دقاً على

باب الحجرة : يا جمال .. اصح يا بني .. ! بعد نصف ساعة يأتي الرجل .

دون تفكـــير اكتشـــف أنـــه في منتصف الفراش ، تتحرك الأشياء بشكل متشنج أمام عينيه ، الجدران ، النافذة ، أرضية الحجـــرة ببلاطها القديم المتسخ، إذن ليس حلماً ، وهذا صوت أمه : يا جمال، يا ابني . هل سيتكلم ؟ ولو فعل أتسمعه ثم هل تفهـــم؟ فليجرب ، وقرر أن يرفع صوته: حاضر ، أنا جاي . مـــاذا لو فتحت الباب.. ؟ بدت بهذه مشكلة عويصة ، لكنها ما تزال تنادي، لم تسمع ، أو لم تفهم ، ربما لم أتكلم من الأساس، إذن هـــذه حقيقتي الآن .. وفكر بجدية في الخطوات التالية .. كان يهرب كلما شعر أن أفكاراً قديمة تطل مثل شوارب فئران مـــن داخـــل، في هذه اللحظة لن يجدي أن يخطط ، أو يعمل تفكـــيره لتنفـــيذ ما يخططه ، كان هذا بالنسبة لك انتحاراً ، لم تصـــل أبـــداً إلى شيء أرادته . من الأفضل أن تنشغل بأمر أمـــك، وجسدك الجديد ، ماذا ستقول لها ، والرجل القادم من سيقابله ، هل تفعل أنت أيها الأرنب ؟!

ادخلـــي يا أمي ، تعالي . ارتفع صوت أمه ولم تسمع من الداخل شيئاً . ومرتين قالت له: الرجل منتظر، شرب الشاي، قـــال ما فيه الخير ، أخيراً ستأخذ حقك افتح يا ابني". المشكلة أن الغرفة مغلقة ، ويحتاج أن يجذب الأكرة ليخرج اللسان من الكـــالون، وثـــب مرتين ، كلما فعل سمعت الأم خربشة خلف الباب : ماذا يحدث يا حبيبي ، صحيت ، ماذا حدث لك؟، وثب في خفة تعلق بالمقبض، فشل أن يسحبه ، جسده خفيف ، طيعٌ، لكـــن القبضة ناعمة ، ملساء ، فجأة ينزلق إلى الأرض واقفاً فوق قوائمه الأربعة . شعر أن قلبه ينضغط ، تحولت الحجرة إلى كهف من الرمادية، أحس بالضعف الحقيقي ، شعور قاس بالضـــياع ، ورأى أن الكابوس هو عجزه الأكيد .. لو لم يفتح لأمـــه لـــن يقـــابل الرجل ، وتضيع الفرصة ، سنين انتظرها واحتمل في سبيلها كل شيء ، وثب من جديد ، تعلق بقائمتيه الأماميتيـــن في المقبض، بدا متدل إلى أسفل مثل بهيمة معلقة فـــي الهلب ، سمع تكة وتحرك الباب ، وثب لتجده أمه وسط الفـــراش ، رأى ظـــلا يتحرك أمام الباب ، سمع صوت رجل يـــتكلم بســـرعة ، لم يفهم شيئا ، كان الصوت منخفضا، جاء

الظـــل ناحـــية الحجـــرة ، ظهر جسد أمه ، بدينا، عجوزا: يا جمال، أنت فين ، الرجل منتظرّ راحت الأم تبحث في الحجرة عـــنه، كـــان يعرف أنها ستراه ، ستتعرف عليه ، كان شاربه الأرنبي يرتعش وجذؤه الخلفي ساكن، بعد دورة في الحجرة لم تجـــد الأم أحداً ، نظرت إلى الفراش ، لم تصدق أن أرنباً في فراش ابنها، قال أنا جمال يا أمي .. لم تر غير حركات غريبة للأرنب ، حيرة وقهر على وجه الأم . تحركت خارج الحجرة، بعـــد أن ظلـــت دقائقاً تحدق فيه . وثب أمامها ، قالت . لا . امـــش. لـــم يتحرك ، أنت من ؟ لم يتحرك خطوة ، لم يثب ، عـــادت إلـــى داخل الحجرة ، شعرت الأم أن بدنها مفرط في ثقله، واستقبلت إحساسا بأشياء تتحلل داخلها ، وشاهدت عمراً يتـــبدد أمـــام عيـــنها. جلست على طرف فراشه ، وثب وجثم جوارها ، رأى في عينيها فهماً للحقيقة ، استغل هذه اللحظة ، وقـــف لـــيجلس في حجرها ، أنت جمال؟ والرجل من يتحدث معه ؟ والأرض من يستلمها ؟!

كـــان يسمع صوت بكاء أمه في المساء ، وبعد أن تصحو مـــن النوم ، خاصة أثناء إعداد فطوره ، كانت تترك غرفتها مفـــتوحة ، وغرفـــته أيضاً ظلت على حالها، وبعد أن جاءت المـــرأة العجـــوز واكتشفت الأمر أرادت الأم منعها من القيام بالخدمـــة ، المرأة قالت إنها لن تتخلف عن المجئ، ولن تنطق بكلمة أمام أحد في القرية. أول صباح ظل منتظراً. هل ستأتي أمه بالفطور المعتاد ؟ أم سيكون طعامه شيئاً جديداً ؟. وضعت صـــينية داخلهـــا وعاء به لبن، ورغيفان من الخبز المرطب بالماء ، ووعاء آخر للماء ، لم يجد جمال رغبة لأكل الخبز ، شـــرب اللبن ، وبعد ذلك تسلل إلى الطابق التحتي . منذ زمن مغلـــق ، تسلل في خفة بجوار الجدران ، ومشى وسط الحفر الممتلئة بالماء ، وثب هنا وهناك ، كانت أرضية الحجر ممتلئة حشـــائش خضـــراء ، تذوقها وراح يأكل منها في نهم ، بعـــد ذلك توقفت الأم عن إحضار الطعام إلى الحجرة ، تترك أشياء فـــي أماكـــن تعـــرف أنه يصل إليها ، ومن حين لآخر تدخل حجـــرته لترى ماذا أكل ، وبدأت تتضايق من الفتات المتناثر خلفـــه ، وبعض الحشائش التي يجلبها معه إلى فوق .. لم يجد

بعد الإفطار ما يفعله ، وثب في كل الأماكن ، ولاحظ مرة أن أظافــره تغوص في الأرض إن كانت لينة رطبة ، وكلما فعل شـــعر بارتــياح ، لم يعد يرتاح إلى النوم في الفراش ، كان يتشـــوق إلـــى الأرض الناعمة الباردة ، وحبذا لو كان بكامله مرتاحاً ، لكنه توقف ، إذ سمع أمه تتحدث مع المرأة العجوز عـــن الجحـــور والحفـــر فـــي الحجرة ، بعدها ظل قابعا في الحجرة، شاعراً أنه محاصر ، وطفا إحساس قديم ، حاول أن يهـــرب منه ، غير أنه لم يتخلص تماماً من أحاسيسه.. هكذا اكتشـــف . راح يفكر بجدية فيما سيحدث بعد ذلك ، هل يظل هكـــذا يـــركض ، دون هدف ، وإن رأى ظل رجل غريب أو امـــرأة يهرب وثباً ، قال لنفسه بعد أن ظل طوال نهار يحدق فـــي الكتـــب الراقدة فوق الكومدينو : هم منعوني من كل ما أحـــب، ويسترســـل مـــع هذه الأفكار ، إنْ دخلت أمه فجأة أو الخـــادم العجوز، يركض إلى زاوية، أو يختفي تحت السرير، ينـــتظر أن تخـــرج ، ثـــم يعود إلى متعته، والتي باتت تغذيه بالاستمرار والتمسك بالحياة ، لكنه توصل إلى أن وضعه هذا ربما أفضل من ذى قبل؟ وماذا حقق؟! رفض أن يغادر القرية ويســـافر لأخـــته، قالت إن حياتها وحياته في أمريكا، رفض

وأقسم أنه سيسترد أرضه، ولن يترك أمه تعيش في هذا البيت بمفـــردها ، كان يعرف أن الفلاحين يعتبرونه ابن باشا . من يعـــيش فـــي سراي مثله ، ولديه عشرات الأفدنة ؟! لكنه هو الآخـــر قال مئات المرات إنه فقير الآن . درس في الأزهر ، كـــل أولاد الباشوات درسوا في مدارس أجنبية، أراد أن يكون عالماً ، جاءت العصبة، أعطاها أبوه الأرض ومات ، لم يجد غـــرابة فـــي حصول الرجل على الأرض، الدهشة والغرابة عرفها، بعد أن كبر ، وأفعم بأفكار ظنها عظيمة ، ويثب فوق الفراش ليتخلص من هذه الذكريات وحين يهدأ، تنهمر الأيام ، يـــنكمش ، يحاول الولوج إلى جحر مظلم ، وصوت يقول هم صـــنعوا لك هذا الجحر، حاول فعلاً أن يكون بينه وبين الناس تواصـــل، في المسجد سمعوا منه أشياء جديدة ، التفوا حوله ، وجاءت القوة ، ولمعرفتهم بأصله عينوه خطيباً لمسجد ! فشل أن يكتم ما لا يُكتم، رفض أن يقول ما يريدون قنع بالعيش من ريـــع الأرض . بعـــد أن ارتفعت الأسعار فكر أن يكسب من مقـــالات عن أى شيء، لكنهم وراءه، إن أى شيء عندهم هو الشيء الخطير! وجد أن أفضل شيء أن يصمت . لكنه رفض فـــي إبـــاء ترك أمه! وأخته المتزوجة في أمريكا شكلت طوق

النجاة .. وبدأت مسيرة الجرائد، أحس أنه يعيش ليقرأ الجرائد، يقــرأ عــن فلســطين، عن لبنان، عن ليبيا، عن العراق وما يدبرونه، وفلتت خطبة من الرقابة ، سرعان ما جاءوا ومنعوه مــن قراءة الجرائد. أرسل لأخته. فهمت وانتظرت أول هابط إلــى مصـــر ومعه أرسلت حقيبة ممتلئة بجرائد أجنبية، عاش أعواما على هذه الجرائد وبرفقه حلم أن يستعيد أرضه. جاءته تهديــدات مــن أنـــاس قالوا إن هذه أرضهم، أجبره هذا على القــبوع داخــل بيــته القديم ، كانوا يحسدونه على بيت وسط أرض بور ، صحيح يشبه السراي ، لكنه لا يملك أن يرممه، ظل يتابع الصور ، يتابع ما يقال عن القضية الضائعة، انكمش على نفسه، دخل الجحر مرات وخرج. أحس بالاختناق.. كيف يـــتخلص من هذه الأفكار المميتة ، كان يتوق أن يعرف ما تم فـــي القضـــايا التي كانت في رأسه أيام كان الأستاذ جمال .. الأستاذ الذي دار في كل مكان ليسمعه إنسان، أحس أن الأشياء هي نفس الأشياء ، الناس هم الناس. من نافذة الغرفة كان يرى الفلاحيـــن قادميـــن أو ذاهبين ، بالرؤوس المنكسة ، بالضياع علـــى وجوههم، هذا الإحساس لم يختف أبداً من داخله . يظل جاثمـــاً علـــى حافة النافذة حتى تختفي الشمس ، تغطى القرية

عـــتمة لا يعرف من أين تخرج. منذ يومين أمكن الأم العثور عليه ، حيث كان يهرب كلما دخلت الغرفة ، فيما يبدو أنه كان نائماً بجانب ساق السرير ..

فـــتح عينه ، وجدها تتكلم : من سيستلم الأرض ؟! الناس تسأل عنك. أتترك الرجل الطاغية يستولى على حق جدودك؟! تركـــته وخرجت، ملَّ من نفسه، من سماعها تبكي ، لست أنا السـبب ، لســت أنا ، كان يتمنى لو يعود جمال القديم ، فقط لـــيقول هـــذه الجملة ..! تعلم أن في التسلل خفية نعمة ، تهبه الهدوء ، لكنها تجعله يرى أمه وهي تغطي وجهها في غرفتها وهى تبكي بصوت مسموع ، تحادث أباه، تنادى على أخته ، تذكـــر كل جدوده بالاسم ، تنادى أناساً تقريباً كان اسمهم في رأسه ، ويبكي هو في حرقة، وقتما يراها تزحف في غرفتها ، بدنها يمنعها من السير الطبيعي وهو يثب. دخل ليلة وقد ظنها نائمـــة ، فزعـــت لرؤيته أمامها ، قالت: ماذا تريد ؟ أنت لا تعـــرف ما فعلته بي، الموت أرحم لي ولك .. ثم ظلت تنظر ناحيته، وعادت تبكي . أنت لا ذنب لك، سأجن، أحدثك كأنك تســـمع وتفهـــم، من يعلم كيف تفكر الآن ؟. أنت ابني ، مهما حدث ابنى ، لو تقول ماذا تحتاج ، ثم لماذا حصل لك هذا .. !

لمـــا رأته في مكانه، لا يتحرك ، لا يثب، يحدق فيها، نظرت فـــي عينيه لحظات، ارتعدت وأرادت أن تكف عن هذا التفكير سمعها تحادث نفسها، "مصيبة لو كنت مخدوعة ، ويكونون قد اســتبدلوا ابنـــي .. لا .. لا يمكن .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..! طيب، لو كان .. لماذا أرنب ؟ لماذا ليس قطاً، لا .. أنـــت ابني ، هه، لو سامعنى طوّح برأسك"..! فعل جمال كي يطمئنها، سألته طيب لم!؟ لم يجد ما يقوله، ظل على سكونه، راحـــت تـــبكى. عاد إلى غرفته، لحظات وأحس أن هذا ليس مكانـــه، وهـــذه ليست حياته وهذه الأم يجب أن ترتاح ، ليس مهماً أن يعرف سبب ما حدث له ، ولا من وقف وراء ذلك..! ظل يئن، يقرب ساقيه الأماميتين من الخلفيتين، حاول أن يكون شـــكلاً كرويا ، إن كنت تحولت إلى أرنب لماذا لا أتحول إلى كـــرة، إلى حشرة، إلى كلب ، أي شيء ، المهم ألا أظل أنا ، لماذا داخلي جمال القديم ، ووجد أن مشكلته ليست أنه أرنب ، إنمـــا أنـــه هـــو جمال ، هذا الإحساس هو ما يعذبه، ليس أى إحساس قديم ، فكر أكثر، واستعاد خط حياته، وجده سلسلة من فشل وانتكاسات ، ورعب وخوف ، نعم مشكلتك هي الخوف ، عشت خائفاً ، رعديداً، لم تأخذ مرة خطوة ضد إرادتهم، ومن

هـم؟. يكونون من يكونون، لكن الفشل ، والضياع والموت.. كل هذا جعلك كتلة من الخوف ..! وتوصل إلى حل لمعضلته، لن يخلصه مما في داخله إلا أمر واحد، لن يكون التحول من أرنـب إلى جمال، لا .. وقرر تنفيذه ، مرة وحيدة يقف ضد الخوف ..

ـ ٤ ـ

دخلـت أمـه في الصباح ، بحثت عنه في الحجرة ، كان الـرجل قـد عـاد بعد أن قالت إن ابنها سافر ، عاد ليسلمه الأرض ، بحثـت عنه في الفراش ، قريباً من الباب، لم تجده، اتجهـت لتبحث تحت السرير، رأت جحراً جديداً، ورأت ابنها خارجه .. جثة!

ــ أمازلت تحبينه ؟

ــ لم أحبه .

ــ أحببته !

ــ تزوجته .

ــ ماذا تقصدين ؟

ــ لم أحبه !

لمـــح فتاة وشابا يدخلان بعد أن سمع الباب يرتد خلفهما . اســـتدار بوجهه نحوهما فتراءت له الترابيزات نظيفة لامعة . تزركش زجاج النافذة قطرات صغيرة لم تجف . كان قد وصل قـــبلها وانـــتظر محدقا في الرذاذ المرتطم بالواجهة الزجاجية للمقهـــى. تـــابع الشاب والفتاة يأخذان مكانا قريباً من الحائط الغارق في ظلال الأضواء الخافتة . نظرت إليه وهو شارد ، فـــي هـــذه الأثـــناء جاء الجرسون ووضع أمامه فنجان قهوة وأمامها كوب الكاكاو الذي تفضله في ليل الشتاء . قال :

ــ كنا في عمرهما .

ــ كنت كثير الصمت مثله !

ـــ ماذا يعنى هذا ؟

ـــ لا شيء .

ـــ كنت أحبك .

حين رأت الفتاة لا تكف عن الثرثرة ابتسمت ، رأت بريق الحب يملأ عينيها . عادت لتتأمله مستغلة صمته ، كانت تعجبه الإضـــاءة الجيدة والهدوء والملمس الناعم في كل شيء . حين انتبه تساءل :

ـــ ماذا قصدت ؟

ـــ رغم كل شيء تحبه .

ـــ أهناك ما يمنع أن نحب ؟

ـــ لا أفهم .

ـــ أنا أحببتك .

ـــ ماذا سنفعل ؟

شاهد الضوء خارج المقهى خافتا ، والشارع الجانبي هادئا نظـــيفا بعـــد أن غسلته الأمطار . من وقت لآخر يمر إنسان ملفـــوف في ظلال الأنوار القريبة، منكمش ، مسرع . سمعته يقول :

ـــ أمامهما عشرون عاما ليفهما .

ــ دعك منهما .

لمــح جفونهــا تــرتعش . رأى فــي عينيها الواسعتين ، السوداوين، ترف الحياة ، تابع تجاعيد الوجه الخمري تتلاشى بفعل الابتسامة النزقة وحين مكث أمام الجسد غرق في الشجن والزمن القديمين . هتف :

ــ أترضين ؟

ــ أتحبني ؟

ــ هل توافقين ؟

ــ أوافق .

ــ رغم كل شيء .

ــ أنا لم أحبه .. لم أحبه !

ــ كيف توافق أمك اليوم ؟

ــ الزمن .

شعر بحياة جديدة تتدفق داخله ، أيقن أنه جاء بسبب شيء حقيقــي ، قاهر، شيء لا يفلت منه أي إنسان . المكان مضاء بشــكل رائــع ونظيف ، توقف المطر، ولما فتح النافذة هبت رائحــة قــرنفل مخــتلطة بالياســمين . ملأتــه الليلة بالحب والرضي، لم يتبق شيء في رأسه يغيظه ، يغضبه ، وأنصت

إلى الموسيقي الخفيفة وهي تحول المكان إلى حلم . حين رآها تعبث في حقيبتها لإخراج الفلوس . تذكر أنها تعمل .

ــ والعمل ؟

ــ أنا الآن مدرس أول .

ــ ماذا تقصدين ؟

ــ هو تزوج .. وبقي الولد !

ــ أنا .

ــ ماذا .. ؟

ــ لا شيء .. المكان جميل ، لأول مرة أشعر بالدفء في ليلة شتوية . قبل أن يتأهب للقيام تساءلت .

ــ امرأتك وأولادك ؟

ــ فعلا .. مشكلة .

بعـد لحظة وضع يده وراء ظهرها ناظرا مرة أخيرة إلى المكان النظيف الهادىء وقال :

ــ الأمر يستحق المحاولة .

أم الرطب ؛

* بصـــفتي المسئول عن المكان وعن أم الرطب ، استقبلت الغريب كضيف، واليوم ـــ بعد مرور أسبوع ـــ أترك أهل أم الرطـــب يفتكون به . من فوق الصخرة البيضاء أشاهد قرص الشـــمس يهـــبط بعـــيدا خلف خيام أم الرطب ، يزحف ضوء برتقالـــي فوق الساحة المربعة . أحتويها وتحتويني . كان أبي يقـــول إن الشـــمس تغطس في البحر البعيد . لم أره أبداً لكنه يندفع بأمواجه داخلي كعالم من الأحلام . في منتصف المربع تقف أم الرطب سامقة، أعلى نقطة ، تبدو حارسا ربانيا جاعنا بالعطـــاء . قـــال أبى إنه ولد في هذا المكان ولما ولدت أنا لم يكـــن هنا غير صف من خيام أربع كلهم عاشوا من طرح أم الرطب ، وهو ورث عن أبيه هذه النخلة وعين الماء لأن جده الكبير كان أول من جاء وأول من شرب من العين . كان أبى يأخذنـــي معه إلى الصخرة وقت الغروب ويشير قائلاً : انظر إلـــى رطبها ، له لون الذهب، وحجم الكمثري وطعم لليوم لم نجـــد طعمـــا يماثلـــه وهذا جعل أهلنا يوقنون أن الشفاء من أمراض كثيرة متروك لأم الرطب ، ومثل أبى وأجدادى يظن

الجميع أن أصل هذه النخلة بذرة جاءت من نخلة السيدة مريم المشــهورة ، جلبها معه فيما يزعمون رجل تاه في الصحراء وقــبل أن يمــوت بالظمأ أو بالضياع وجد عين الماء ، شرب الحفــنة المقدسة ــ مثلما نقول اليوم ــ ثم مات . وحيث أكلته الأرض نبتــت هذه النخلة . رأيت أبى وهو يتسلقها ، يشذبها، يســتقبل طرحها ، يعطى أهل أم الرطب من عطائها . لم تعد ملــك أحد ولا يفقد الإحساس بملكيتها أحد . حين مرض أبى جــاءوا، رجالا ، نساء ، أطفالاً، وقفوا أمام خيمتنا الصغيرة ، واحــدا تلــو الآخــر قــبلوا يد خادم أم الرطب ، وانتظروا وانــتظرت معهــم النهاية. فجأة نهض أبى متجاهلا ضربات المــرض ، نشــيطا مشى في دروب المكان الرملية ، رافقه الكبراء وهو يحملق في الخيام البسيطة ، عند عين الماء وقف وشــرب الحفــنة المقدسة ، نادي على ولده الوحيد . أتوا بي وأمام الجميع خلع علىّ المسئولية. وضع الرطبة في فمي بيده المرتعشــة وأمرنــي فشــربت حفــن الماء من أكف الكبراء وأقسمت على الوفاء بالعهد . نظر إليهم وقال الآن جاء العمل. أســرعت لأمنعه والكبراء حاولوا : سأفعل أنا ، سيفعل ولدك؛ ولولا أن تصبب عرقا ورأى الشمس تسقط في البحر البعيد ما

اســتكان ، خلفه سرت إلى الصخرة البيضاء. في الصباح رآه مــن خرجوا مبكرين للحصول على الماء البارد ، التفوا حوله وهو يلف الحبل حول جذعه ويستقبل جذع النخلة . كان موسم الطــرح . لمّــا استيقظت ولم أجد الخادم العجوز هرولت إلى ساحة أم الرطب . وهو يهبط ؛ في هذه الأثناء ، سمعنا طقطقة القحــف تحت قدمه ورأيناه يتطاير .. سقط أمامنا ولفظ أنفاسه فــي الحــال . قبــيل الغروب هبط الغريب على أم الرطب ، اســتقبلته بعــد أن ادعى معرفته بي؛ إذ جاء من المدينة التي أرســلني أبــي ــ يــرحمه الله ــ للدراسة بها ولأكون جديراً بالمســئولية القادمــة . طاف معي بالساحة وتأمل أم الرطب وعين الماء، وفي صباح اليوم الثالث اكتشف الكيس الدهني . قال إنه في حجم بلحة صغيرة بجانب العين ، لكنه يضغط على عصب النظر ، صدقته ، وبدأت أعاني بالفعل من عدم وضوح فــي الرؤية فتركت له كل شيء وبات كل همي ضياع الرؤية في الأيام القادمة . صارحني بأنه طبيب ووافقت على ما أسماه كشــط الجزء الزائد . أبقاني داخل الكوخ يومين . فيهما كثر حديــثه عن سوء استغلال العين والنخلة وقال إن كانت ملكي حقا فلماذا أتركها للآخرين؟! تصادق ــ كما علمت بعد ذلك ــ

مع الشباب الذين أمدهم بأشياء جديدة مثل الأدوية المهدئة ولم تكـن غير الحشيش والأفيون وعطر خاص بالحريم . لم يكن غريبا أن أسمع أنه لم يأت بمفرده ، وأنه قادم من البحر ومعه كثـيرون ينـتظرون إشارته .. مع ذلك تركت له إدارة شئون العين وأم الرطب إلى أن جاء أبي ولطمنى فوق الكيس الدهنى وفى ثورة غضبه انتزعه بإصبعيه فرأيت كل شيء وصحوت. ركضـت إلـى الساحة ، الشباب يلتفون حول الغريب . البئر الـذي يحفره طمس عين الماء المباركة وقربه من أم الرطب هـيج الكـبراء أكثر وكان الأولاد متحفزين . سمعت أصواتاً غريـبة واهـتزت الأرض تحتنا ولم نصدق ، توقعت معركة غير عادية ، وربما أم المعارك . قال الكبراء صبرنا احتراما للجـدود والآبـاء الطيبيـن . فـي النهاية خليت بينهم وبينه وانسحبت أبحث عن الصخرة البيضاء .

في حملها فوق الأكتاف رأى خبز الدنيا تأكله طيور السماء بعـد أن دارت الأرض وحطـت حينما جاء المساء . بجانب الخشـبة سـار بقلب يرفرف قريباً من سطح اللجة التائهة في رحلـة الذهاب، وهم يعرفون فداحة العودة المربوطة بالخيط المدفون في القلب المهزوم .

ذهـب إلـى المقبرة مخترقاً الحقول والنوم وزمن الإياب. شـوارع نزفـت بعد أن نبحها الصمت وإهمال الأيام . خرج الزمن مرتعداً ملتجئاً إلى دفء الآملين، فتحت عيناه الطريق ، تدفـق دم الصـباح لتضج شرايين الصمت، رأى السكينة تفر تاركـة ذعـر الفـؤاد . لملم المتناثر من عقله وتتبع خطوات الـرجال ، كانوا يسيرون في ثبات ، لم يسأل أحدهم عما رأى داخـل جوف الزمن المسجى والمكفن بضمادات العدم . عن أبـيه وجدوده أطال البحث، تعبت اليدان من الهروب فاختفت فـي خشـونة البالطو الأسود . نثروا الماء أمام الفوهة التي أعـدوهـا للجسـد المحمول فوق أكتاف الحيرة واللايقين . رآهـم يمشون ، خلفهم مشى، مرّ على الوجه غول الصباح ،

أضاءت جوانب الكون بنيران حقيقته الجديدة . لثم جبينها حين صمتت .

أوصـــته أن يـــروى الشـــجر الواقف أمام الباب . رعت وحصدت وأكلت ثم جاءت لتنعم بظلال نهاية الممشي البعيد . رأى جســـداً يذبـــل فـــي زمن الاستسلام ، رأى النجوم حين صـــعدت حفر السماء، والثياب تحتمي من الأيام بالولوج في ســـاحة الأســـمال ، وجاءت الأيدي . طائر ملموم الجناحين ، مغلـــق الحلـــق ، هجع، صوته عاد إلى أديرة النهاية الصامتة حمـــل النعش . اتجه إلى الحوارى المزركشة بزرع الصبار . معاً.. كنا نستقبل الشاطئ .. وكان نائماً.. وكانت المدينة خلفنا شاهداً أصم بخيلا .. ينكر الحقيقة..!

أتـــطوح خلف الرجال، جئت للاحتماء، لإفراغ الوعاء من قطع الأخشاب بعد أن تفحمت، العرق يبقى، يشل العقل، وأراه بجانب الجدار مكوماً، شهق مرتين ، خدرته الغيبوبة ، الدفوف تتوازى ورقصات الظلال على جدران الحوارى والشوارع ، وحتى الأماكن المرمية في الرطوبة والعفن تستقبل أصواتنا .. حـــي .. حـــي ..! يحاول صاحب اللحية البيضاء الدخول في عـــالم الـــنجوم مـــن خـــلال عيني المسبلتين على الأضواء

الصفراء.. يطلب أن أتقدم، ينصبني أميراً ، كنت أصدق حين تركـت ســاقاي مربضهما، لاحت النجمة البيضاء في السماء السوداء ، من شرفة القلب هبطت .

وقفــنا أمام البحر ، كان يتلوى ، ينكمش ، أحيانا يرضى ، وينقم على نفسه وأحيانا يغرد، يعزف اللحن الساكن في قاعه، يعانق السماء والــنجوم، رأيــناه يتزوج السماء في صمت، وبلفتة وحيدة توالدت الكائنات ، الرقيقة، وراحت تسبح في عطاء الأب المائي .. واقتربت، ولمســت في يدي شوقي ونزقي ونزَّت أنوثتها حليباً شهياً في عين العمــلاق الــنائم ، وافترشنا الرمال، وحين نهض البحر من غفوته اكتشفنا عاريين، ألقى بردته التي في لون الزبد وانعكست في السماء صــورة الأرض، ورقص القمر معلقاً كمصباح فوق الغلالة الرقيقة التــي لا تخفي حركة ، أو تمنع همسة .. وتزداد الأجساد ارتعاشاً، وتــتمازج الإيقاعات لتتلاشى في الحركات، وحين تعبنا كنا قد هدأنا وركبــنا زورق الــيل، تعزف النجوم لحن السماء وقد تحولت إلى عشب فضي، ورحت أتطوح ولم أعد أحدد من أين يأتي الانتشاء !!

تحت النجوم

السـماء السـوداء تزركشـها النجوم الفضية، وهالة الليل تحيط بالمكـان، تضـم الكائنات وقد أتت متعبة معترفة بنهاية الدرب وقد أفضي إلى عشق رؤية النجوم وسباحة الوجوه في بحر النهاية اللذيذ .

أمسـك نجمة بعيدة، لم أعبأ بمن تكون، لم أبحث عن تفردها، لم يغرني ضوءهاءكانت واحد سارية وسط عتمة الليل، تضع بقعة من الضياء، يتحول إلى غذاء للجسد المنهك والذي لم يقبل النوم في وحدة الفـراش، أو السـير في صمت الأصدقاء، ورفض الإنصات إلى أحاديـث القاعات المغلقة، وفي النهاية برهن على أن بذرة الأرض السمراء ما تزال تضج في جسد سليم يتمتع بحارس يعشق اللاوعي.. ويعاصـر الخذلان. يتطوح الجسد راصداً إيقاع الدفوف، موائماً بين حـركات الأعضـاء وتصفيق الكفوف، وكلما تدثرت الروح بدفء التوبة دخلت النجمة.. برائحتها القديمة، من نافذة الاشتهاء . لاحقتها مـن مدخـل الحـارة إلى العمق المظلم، جلست وقرأت في عينيها انتظاري، في رعشة يديها تواثبت لقاءاتنا البعيدة، وما إن صممت.. وتراجعت وقد تدحرجت شهقة لعذرية على المسافة المتبقية بين التقاء الحـربة بالترس . وثبت ملتفة بتعافية والبراءة، لاحقتها إلى أن لاح

الـــبحر، كانت الأرصفة تتخيّل في رؤى المقابلات، في اختلاسات تمـــت من وراء الأسوار ، تعانقنا وتبقي أن نعبر الشارع الإسفلتي ، ناشـــدتنا صـــرخات النوارس وهسيس الأمواج، في عرس الألوان، تجمعـــت اللقطـــات منهية مسيرة نهار وقيظ، وبصقة أب على أيام الشـــباب، وبـــدت عينا الأم متسلحة بعتاب جارح ، فلت منه الأب ببصـــقة جديدة ، ولما حكيت لها، قالت إن في النسيان انتحارا للأيام والليالـــي الخالـــية من أنفاسنا الرائحة زفيف ريح تعرف أين تحط ، تصـــفر ليتخلصوا من "الأمانة".. الحلوق مفتوحة، النداء يلبي لحظة الفطرة والانفطار، والنفس تتكص، والعيون ترتمي بجوار الأرضية المبلولة. بدأوا بالرأس.. تركوها تحتضن سماد النبتة الجديدة، زرعوا الجســد في قاع الحفرة، أغلقوا الباب ليحتفظ الإناء الأخروى برائحة الزمن الجديد . صمت تماما. يداه تدخل عالم الثواني .. التي تتحول إلـــى نسيج هش.. وضع يديه فوق العينين، لم يتمزق النسيج الهش.. بل تكاثر.. متعنكباً..

استسلم وعاد إلى الدار .. دار الغربة .

الهزيمة

بعـــد أن سرت في متاهات وسراديب الزمن طويلا اشتقت للـــراحة . اكتشـــفت أن أربعين عاما تركت غبارها وضياءها فوق الجسد ، بعد ذلك قررت وضع كل هذا في بؤجتى ، فوق كتفـــي حملـــته وســـرت . لمّـــا رأيت الشاطىء جلست، ليس لأســـتريح ، إنما ليكون إعلان تعبي وشقائي مشروعا . ومن صرتي أخرجت هذا الزمن .. في العام السابع بكيت بسبب ، وبكيـــت بقـــوة ألـــف تضربهم كارثة ، ثم جاء الربيع فنسيت وأخرجت من ذات الحدث ما أبهجني ودفعني لأن أغادر أرض الحـــزن واللاذكرى . وفوق نفس الشريط الزمني ولدت هي ، وبعد أن فتح مكان وفض جدال جاء موسم المطر . كنت ألهو، أركـــض ، أذهب حيث تأخذني قدماى ، كنت أشرب عصارة لحظات الحرية .. وهناك كانت هي تقف في فستان مزخرف بورود زاهية وغارق في الصباح الأبيض ، وتتطوح ضفيرتان في النسيم .

من الناحية الأخرى تخرج جنازة الزعيم ، يلحق بها آلاف مـــن القـــرى والنجوع، داخلهم نفس الحزن القديم الخالد . من

داخل الصرة وأمام شاطئي الزمني أخرجت الحدوتة القديمة .. حدوتـــة الحــب . جاءت وجلست بجانبى ، استجابت للصمت المخـــادع وقالـــت أشياء عن الحب . وثبنا لنخرج من الغلاف الوهمـــى ، تبادلنا الوهم والحقيقة وتبادلتنا الخدع .. وأخرجت من الصرة لحظة الفراق . لم تجد هي سببا لكنني قدمته لها . هربـــتْ دون أن تلتفـــت خلفها . كان الزعيم المدفون قد أكله النسيان ودخلنا دروب المتاهة . في النهاية حاولت استعادتي ، لمّا فشلت سطت على الأرفف ، على الجدران بعد ذلك . كنت أعـــدو داخـــل صـــرتي التي اصطنعتها من نحيب الذكرى . اســـتولت بعـــد ذلك على الكتب ، على زمن اكتنزته داخلي ، راحـــت تمزق وتهدم ، وحين انتهت من لعبة الطفولة اكتشفت التجاعيد حول قلبها .

حاولـــتْ إجراء جراحة للزمن المتجمد ، والذي انتشر على شـــكل بـــثور . فـــي أيـــام المصالحة قالت : سأعيد الأرفف والجـــدران ، ســـأفرج عن أصدقائك. حين بدأت لم تجد كتبا واكتشفت أنها دخلت عصر البدانة ، وأوشك جسدها أن ينفجر ، فقـــد ســـكنه كل المقيدين ، وفاقدو الزمن ومشوهو التاريخ ، والغاضـــبون . ارتفـــع صـــوتها في انفجار نحيبي ، أسرعت

لأغلق صرتي ، ولأنني فشلت في إبقائها داخل زمني ، تركتها مكانها وواصلت طريقي .

التمثال

المرأة العجوز تأتي متمهلة ، تعوق لهفتها خطاها المتعثرة. الجلباب أسود طويل ثقيل وباهت . تقول لنفسها : القلب يعرف أيـــن يقف وعمّا يبحث. نسمات الصباح مثقلة بلهيب الجدود ، تشـــاكس الوجه المدفون في عمق اللفائف السوداء . الأرض التراب تستقبل الأقدام الباحثة عن الزمن القابع خلف المعبد . تـــرى أوراق الأشـــجار رازحة تحت صخب الطريق ودخان أتوبيســـات السياحة . صفوف من أجساد عارية تتقدم صوبها كلمـــا أصـــرت علـــى تكرار ما تفعل . خلف السور المرتفع وقفت؛ إذ هجمت على الجسد الناحل المقدد أيام ظنتها توارت أو بهتت ، وشعرت أن حواف السور أمشاط مسننة ، فولانية، تنغرس في قلب أيام الصبا الطيب .. ولم تصدق أنها في نفس المكـــان تقف . تزوجت وأنجبت ، كانت تركت بلدها بسببه، عاشـــت أياما جميلة وأخرى حزينة . لمّا خرج ولم يعد سمح أهلهـــا أن تســـبح في الأيام القديمة معاودة البحث عن الدفء والشـــوق وهـــزائم العشق .. وسمحوا أن تعود الخالة والعمة والابـــنة . أكـــان بسببها حينما ذهب؟ أكان للأولاد أم لها ذاك

التمـــثال الذي صنعته؟.. وكالعهد بها لا تجيب . وصلت بقلب معـــبأ بمخلفات هذا وذاك . حين لم تجد ما تهرب من أجله ـــ مـــثلما فعـــل ـــ استسلمت للقليل المتبقي من الحزن .. وغير زيـــارات مـــتقطعة للعائلة لم تفعل، ويتبقى أن تختفي ساعة ، تتنكـــب الســـفر والترحال آتية إلى الشجرة السابحة في نهار المعبد والخلود؟ أصاخت إذ ظنت أنها تسمع صوتا عجوز، في الفضـــاء تنتشـــر رائحة لها رعونة الأيام الأولى . من خلال الفـــرجة بين الجدارين راحت تنظر إلى التمثال . خلف سور المعبد لا يزال مثلما تركته، محدقا في الفراغ الواسع ، راصدا الســـماء الرائقة . بحثت فيه عن ملامحها أو ملامحه . كانت فـــتاة ســـمراء ، تمـــيس أمام السيّاح بجسدها المنتشي برعشة الأنوثة ، وعندما ينصرفون لا ينصرف عنها التمثال بنظراته. رأت التجاعـــيد تنتشـــر وظلالاً داكنة تغطي الوجه . أسندت ظهـــرها للجدار ، تقرفصت لتحظى بنفس الجلسة ويطل عليها مـــثلما فعلت طفلة وفتاة وامرأة . مع المغيب تهالكت ونشبت جذورها في تراب الأرض ، أحست بشيء يغرقها، ويجرفها . تركـــت العينين تستلهما ننظرات التمثال الواقف منذ عهد بعيد

فـــي نفـــس المكان ، أغمضت عينيها فبدا التمثال كأنما يرمى بنظرات حية إلى الكائن الجامد قبلما يتحول إلى حجر .

الطــرقة خالــية هادئة . بصق دون سبب ، ثم تتهد . في غــرفة نومــه تجلــس أمام مرآة على شكل دائرة ، إطارها مذهب، وتتناثر ورود حمراء فوق سطح المرآة . يقف لحظات حــتى تنتهــي . يشرع في التجرد . تنتظر حتى يتدثر بروب ربيعــي . أزاحــت الكرســي وانتصبت ، ملأ شعرها برواز المرآة، واحتك الأثير بعرفها الألماني الثابت . سألت :

ـــ والحل .. ؟

رأى أن يقــترب . نظر مباشرة في عينيها . لحظات تمر ويــأخذ الخطــوة التالية يرى عينين هادئتين ، يسمع موسيقى مصــرية تحلق حتى سقف رأسه ، تأخذ ـــ هي ـــ خطوة أو اثنتين صوبه . يقترب اللقاء .

ـــ اتركي لى متسعا من الوقت .

ـــ لو ذهبت .. ؟

ـــ من أجلي ..

بالضبط أراد (لو من أجلي لن تعودي) .

ـــ لم تعد ترغب في .

ـــ منذ عام .. وثبت العكس !

ـــ لكنك وعدت ..

خلفها وقف . أشباح تقتحم باب الغرفة ، تتدافع مثل ظلال لأشجار عملاقة ، تتلوى ، يشم رائحة طينية ، فيها طمي النيل . اقتربـــت كريســـتينا بحـــركة لا إرادية منه ، ارتدت خطوة فالتصقت به . قرر أن يفتح عينيه ، شعر بالاختناق ، دفعها .. دون احتكاك بعالم الامتلاك الخاص بها ! قال :

ـــ كانت علاقتنا في مرحلة التقابل ..

ـــ وبعيدة عن التقبل !

ـــ عامان مرا ..

ـــ ويومان .

اغترف مما صنع ، مضغ لحظات وبصق بعيدا .

ـــ انتظرت طويلا .. !

ـــ فعلت بحب ، جلست أنتظر ردهم . إلى الآن لم أعرف ماذا قالوا . !؟

تضـــحك . أســـنانها النوبـــية ـــ كما يسميها ـــ رقيقة في البياض ، شائقة وسط الفم الألماني .

ـــ نقول .. لولا الشديد القوى .!

القوى .. !! لم يعد القوى !

جـاء مسـاء حاملا حقيبته، و .. حملق الرجل في بنيانه الجسدي. أراد طمأنة الرجل .

ـ حقك محفوظ ! المهم تكون الشقة مثلما طلبت .

ـ العائلات كلها أجانب .

ولم تتوقف البحلقة ..

ـ أنا مدرب .

ـ هكذا ظننت . أعضاؤك .. قامتك الطويلة .

تأملـته تمامـا مثلما فعل السمسار . قال نفس الكلمات .. ولتجنب مزيد من الأسئلة قدم لها كرسيا .

جلست تختلس النظرات من فوق الفترينة . تهرب :

ـ لم يقبلني أحد كمدرب .

ـ أتفهم في بيع الذهب !؟

ـ عرضوا أن أمارس التدليك .

ـ مهنة جميلة ..

تحـرج أن يعلن عن رأيه . لا يعرفها كما يجب . أيسألها عن بلدها ، عن سبب وجودها ؟ . صمت كان قد قدم لها كوبا مـن الشـاي ، انتهت منه . بدأت تحاصره بالعين والجرأة .

راحـت تضـحك وتميل برأسها فوق الطاولة الزجاجية . في مـرات تالية لم يعد الصامت المترقب ، ارتفع صوته ، غطى علـى السـاحة الواسعة أمام المحل .. وتخلفت عن الرحلة . اكتشـف فـي صـوتها ثقة بعيدة .. انتقلت إلى صوته ، إلى أفكـاره، إلى خطواته .. ثم مثل أهل القطب الشمالي اكتشف الشمس ، الدفء ، وضوءها المتوهج ! . سألته :

ــ أسبوع لم تقربني .. لماذا !؟

كاد أن يعلن عن رأيه .. توقف . رأى أنها تقف بعيدا عن الشـلال، تـرقص للشـمس ، للماء المتدفق، لصوته الهادر السـاحر. لو رمى بنفسه في المصب ، أخذها ، انجرفا! ابتعد عن الفكرة ! انثنت لتقترب من صدره . ترك رأسه ترتاح .. وراحـت تتحدث عن شعره الأسود ، عن شاربه الأسود، عن عينيه السوداوين .! وقالت :

ــ بلدكم ساحر .. !

ــ آه .. فعلا !

غزت صدره ، ورأته فاتحا عينيه . تنهدت .

ــ الألوان لها سحر ..!!

يعـــرف أنهـــا لـــن تستســـلم .. ووجد أن مشكلته في مغالبة الضعف. تقل مقاومته، يراها أمامه ، يستسلم للكلمة، وللآراء الجيدة الصائبة.! وكان قد استسلم للقرص المشتعل .. يخترق مسام الجلد! وتساءلت :

ــ أحقا لم تعاشر امرأة قبلي ؟

ــ الأمر عندنا .. .. !

كـــادت تضـــحك .. توقفت بغتة . انتهت المسألة إلى ابتسامة ارضاء له .

ــ .. لابد من الزواج .

فـــي تنكيسه الرأس ندم . داعبته بتطويقه . يضيع شاربه بين هفهفة ونعومة الشعر الذهبي .

ــ نتزوج ..

ــ فكرت قبلك .. لكن ؟

ــ انس الجلد (الفلوس .. ألماني)

بـــدت جديته . لم تفهم هذا الاهتمام الفجائي . راحت تدقق في الكلام الخارج من رأس فوق جسد مثالى .!

ــ وتعيشين معي .. ؟!

ــ لم لا .. !

ــ وتقابلين أمي الصعيدية ؟

ــ وأتعلم عربي .

.. وراحت تشرب دون دفع حساب .. شربت حتى لم تعد تعبأ أتفنى الخمر أم تفنى هي !

لـــم يعد إسلام الشاب الرياضي . تعلم أن يتحدث وقتما يريد ، يصـــمت طويـــلاً ، يتخـــيل كثيرا ، لكن خياله كان مزدحما بكريستينا.! ساعة أو اثنتان جالسا أسفل شمسية الفندق ، يبتلع لون الماء الأزرق ، يزفر للبحر . وجد أن حديثه مع نفسه لا يـــتعدى شـــقته ، كريســـتينا ، كلماتها ، المزيكا التي تحبها ، جـــدران غرفتها ، أوقات صمتها جالسة .! لكنه مل حكاياتها عـــن ألمانـــيا ، عـــن الحرب التي سمعت عنها ، عن جدها الـــيهودي ، وأمهـــا الكاثوليكية ! مرارا حكت عن البيت الذي دمر وأعيد بناؤه ، عن الحديقة التي تذبل ثم تتحول إلى عيدان مغطاة بالجليد في الشتاء .!.. ويحاول إسلام أن يكون شرسا.. مـــع نفســـه، مع لياليه. الذي فشل فيه كان الهروب من صور قريته .. وسأل نفسه ، كيف تجعل من الغرفة فندقا فخما !؟ ما كل هذه الورود، ما كل هذا الهدوء الداخل في نسيج اللمعان ؟

كـــان يـــتمدد، بحملق في سقف فوسفورى ، وردى هائم ، ثم يزحم بقعته عطر ألماني ثقيل !

هــل يتفتت ..!؟ فليتفتت .! ماذا في الأمر ؟ عبث ما حدث ! ليـــت المســـألة تنتهي بإرهاق ، أو تبدأ بإرهاق لتنتهى بتباعد ذرات ، أو تـــنافرها ! لـــم يعد يدرى هل هي على خلاف مع بدنـــه أم إنها فارقت البدن بالفعل !؟ كانت قد تعلقت بعينيه ، بأصابعه ، بكلماته المتداخلة ، حتى تأوهاته استلذتها .. حاولت الدخول فيه !! تحولت إلى فكرة تحاول أن تدخل رأسه .. إلى أن قال:

ـ لم أعد أحتمل !!

ـ لا يمكنك أن تشكو من نقص ..

ـ آه ..

ـ أنت تغنيني .. رغم حنيني إلى وطني !

ـ ينقصني شيء .

ـ أعرف ما تريد .. حدد !

تـــراجع ، وضحك من نفسه . مازال يتحرك في الغرفة برأس صـــعيدي . رأى ســـاقيها منفرجتيـــن ، يتموج فوقهما قميص

شـــفيف بلون الفخذين ! ماذا يشده إلى البعيد .. !؟ أولج لسانه في قلبه ليهمس :

ــ جاءني عمل .. في صميم مهنتي ..

ــ شكرا لله (قالتها بألمانية فصيحة) .

تغاضى ، وجلس بجانب رأسها .

ــ لم أعد أقدر .. !

ــ أنتم ترون القوة في الجسم .. هذه مشكلتكم !

ــ .. ..

ــ في عقلك كل شيء !

ــ أنت تقولين هذا !؟

لمحت شيئا مغايرا فقالت :

ــ في العمل وزع قوتك ، داخلك قوة تستمدها من روحك .

ــ أنا لا أستطيع الوقوف على قدمي .

ــ ليس صحيحا ..

ــ وأنت تفكرين لي .

صـــمتا ، وأغمضت عينيها . فكر . رأس ألماني صلب ! في الأول كان هذا الرأس يلين !

كــان يجلس جوار الفراش ، يقرأ في كتاب ، ويهددها بكتاب آخر .. إلى أن تركع أمامه !!

تــركع دافنة رأسها بين ساقيه ، يضع الكتاب جانبا ، تكون قد قبّلت قدميه ، أصابع قدميه !!

يرى التواءها ، يرى جسدها يلتف حول خيط من ضوء متوهج .. يرضخ حتى يرى الجسد ذرات متفتتة ! وصاح :

ــ كان خطأ ؟؟

ــ وحدث !

تهــدأ قبله ، تتحول إلى صقيع . هو ما زال يغلغل نظراته في جسدها المتصالب المتماسك . يكظم شتائمه .

لــو فعل سمع سبا لأهله ، لبلده ، لشخصه.! في النهاية بصق في منديل ورقى قائلا :

ــ نفترق ..

ــ لتبحث عن أخرى ..!؟

كلماتـــه مبــتورة . يهــيم في الحجرة ، يقذف ملابسه التي لم يرتدها ، يبحث في زوايا الغرفة عن أشياء ..

ــ لم آت بهذا الشورت ، لم آت بهذا المايوه . جلبابي .. أين جلبابي ؟؟

صفعته بالجملة الأخيرة :

ـ لن تشبع مثل .. ..

لم ينتظر حتى تقولها .. وخرج !

نشرت في الأهرام المسائي .

الكاتب في سطور

* حاصل على ليسانس ألسن قسم لغة ألمانية.
* نشر له العديد من القصص في بعض المجلات والجرائد.
* نشـــرت إحدى قصصه ضمن.. مجموعة آلام صغيرة عن نادى القصة .

و.. <u>تحت الطبع</u>

* ألمانى في مصر
* أيام بين الضفتين
* البركة

صدر من مطبوعات الفجر

١ ــ تغريبة عبر زاق الهلالى	دراما شعرية	د. يسرى العزب
٢ ــ الهاموش	قصص	حسن نور
٣ ــ المبعدون	قصص	إدريس على
٤ ــ حكايات مصرية	قصص	د. نجدى إبراهيم
٥ ــ الدائرة	رواية	د. نجدى إبرايم
٦ ــ شجرة مريم	شعر	د. يسرى العزب
٧ ــ تأملات في الفن والثقافة	نقد	د. محمد حسن عبد الله
٨ ــ أمسيات عائلية هادئة	قصص	منتصر ثابت
٩ ــ شجر الليمون	شعر	خالد النشوقاتى
١٠ ــ عصفور الحب	شعر	نجاة خليل
١١ ــ حتى لا يطول الانتظار	قصص	محمد نور الدين
١٢ــ اكتب عمري	شعر	ليلى محمد على
١٣ ــ زائر بعد منتصف الليل	رواية	مديحة أبو زيد
١٤ ــ خاطئة في الجنة	رواية	يحي سليمان
١٥ ــ النملة والحداية	شعر للأطفال	عزت زايد
١٦ ــ واحد اتنين	شعر للأطفال	عزت زايد
١٧ ــ المراهن	رواية	سيد أمين
١٨ ــ فيكى إيه يتحب ؟!	شعر	جلال الصياد
١٩ ــ فرس جامح	شعر	ليلى محمد على
٢٠ ــ حريم الملح والسكر	مسرحية	محمد الغيطي
٢١ ــ قمر المغارب	شعر	د. يسرى العزب
٢٢ــ الدنيا جاية	شعر	د. فاطمة الحفني
٢٣ ــ آه يا وطن	شعر	م. منى عوض
٢٤ ــ تخاريف	شعر	نبيل أبو السعود
٢٥ــ ليلة دافئة	قصص	فرج محمود

رقم الايداع: ٤١٩٦ / ٢٠٠٤
إنتــاج ابرايجيبت
ت: ٢٧٣٢٤٦٦